الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

ميدان: العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

رواد الصحافة الجزائرية ودورهم الاصلاحي والتوعوي خلال القرن العشرين(1884-1954)قراءة في نماذج عمر راسم وعمر بن قدور الجزائري

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)

إعداد:
- ندى بوعيسي
- سعاد بلمرابط

إشراف:
- د. عمر جبري

نوقشت بتاريخ: 2026/06/07 أمام اللجنة المتكونة من السادة

د. صماري بوبكر	**جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج**	**رئيسا**
د. عمر جبري	**جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج**	**مشرفا ومقررا**
د.زيتوني اسحاق	**جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج**	**ممتحنا**

السنة الجامعية: 2025 / 2026

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾



[سورة المجادلة: الآية 11]

شكروعرفان

الحمدلله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، الحمدلله الذي يسر لي الدرب، وسهل لي الصعب، وأنار بالعلم القلب، حمدا كثيراً مباركا وبعد:

أتقدّم بخالص عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف(جبري عمر) على ما قدّمه لي من توجيهات علمية قيّمة ونصائح سديدة، وعلى صبره ودعمه المتواصل طوال فترة إنجاز هذه المذكرة.

كما أتوجّه بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام لتفضّلهم بقبول قراءة هذه المذكرة وتقييمها، وإلى جميع أساتذة قسم (التاريخ) بـ (جامعة البشير الإبراهيمي) الكل بإسمه والكل بعلو مقامه، الذين ساهموا في تكويني العلمي والمعرفي.

ولا يفوتني أن أتقدّم بالشكر والعرفان إلى عائلتي الكريمة على دعمها وتشجيعها الدائم، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.

وفي الأخير، نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الجميع.

اهداء

إلى من كان لهم الفضل بعد الله في وصولنا إلى هذه اللحظة المباركة...

نهدي ثمرة جهدنا وتعبنا هذا إلى والدينا الكريمين، حفظ الله الأحياء منهم ورحم من غابوا عنا بجسدهم وبقوا ساكنين في قلوبنا ودعواتنا.

إلى أبيَّينا العزيزين، سندنا وفخرنا، وإلى الأم الحنون التي رحلت وتركت أثراً لا يُمحى من القلب، رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته.

وإلى أمهاتنا الغاليات اللواتي كنَّ مصدر الحب والدعاء والصبر.

وإلى الإخوة والأخوات التي كانو لنا ذراعا في هذا المشوار.

كما نهدي هذا العمل إلى أزواجنا الكرام، الذين كانوا خير داعم وسند طوال مشوارنا الدراسي.

وأيضا إلي أستاذي المشرف الذي يتشرف به كل من عرفه.

وإلى كل من وقف معنا وشجعنا ولو بكلمة طيبة.

وإلى كل من حمل لنا في قلبه دعوة صادقة...

نهدي لكم هذا التخرج بكل حب وامتنان.

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدور الإصلاحي الذي اضطلع به كل من عمر راسم وعمر بن قدور من خلال نشاطهما الصحفي والفكري في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي. وقد سعت إلى تحليل إسهاماتهما في نشر الوعي الوطني والاجتماعي والثقافي، والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، ومواجهة السياسات الاستعمارية الرامية إلى طمس مقومات الشخصية الجزائرية.تناولت الدراسة في فصلها الأول شخصية عمر راسم، من خلال التعريف بمسيرته، والبيئة التي أثرت في تكوينه الفكري، ودعوته إلى التعليم والتعلم، ثم عرضت نشاطه الصحفي وأبرز مظاهر الوعي السياسي والاجتماعي في مقالاته. أما الفصل الثاني فقد خصص لعمر بن قدور، حيث تم التطرق إلى نشأته وبيئته الفكرية والاجتماعية، وإسهاماته في ميدان التعليم والصحافة والإصلاح التربوي والاجتماعي، إضافة إلى بيان أثره في الحركة الإصلاحية الجزائرية.كما خصص جزء من الدراسة للمقارنة بين الرجلين، من خلال إبراز نقاط الالتقاء في خطابهما الإصلاحي، خاصة فيما يتعلق بالدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، ونشر الوعي، وتوظيف الصحافة كوسيلة للإصلاح، إلى جانب إبراز خصوصية كل منهما في الأسلوب والقضايا التي تناولها.وقد خلصت الدراسة إلى أن عمر راسم وعمر بن قدور شكلا نموذجين بارزين للنخبة الإصلاحية الجزائرية التي وظفت الصحافة لخدمة قضايا المجتمع والدفاع عن مقومات الأمة، وأسهمت في ترسيخ الوعي الوطني والثقافي الذي مهد لظهور الحركة الوطنية الجزائرية.

Abstract

This study aims to highlight the reformist role played by Omar Racim and Omar Benkaddour through their journalistic and intellectual activities in Algeria during the French colonial period. It seeks to analyze their contributions to spreading political, social, and cultural awareness, defending the Arab-Islamic identity, and confronting colonial policies designed to undermine the foundations of Algerian society. The first chapter examines the life and career of Omar Racim, the environment that shaped his intellectual development, his call for education, and his journalistic activities, with particular emphasis on the political and social awareness reflected in his writings. The second chapter is devoted to Omar Benkaddour, presenting his upbringing, intellectual and social background, his contributions to education, journalism, and social reform, as well as his influence on the Algerian reform movement. The study also provides a comparative analysis of both figures by identifying the common features of their reformist discourse, especially regarding the defense of Arab-Islamic identity, the dissemination of awareness, and the use of journalism as a tool for reform, while also highlighting the distinctive characteristics of each thinker. The study concludes that Omar Racim and Omar Benkaddour represented two prominent figures of the Algerian reformist elite who employed journalism to serve society, defend national identity, and strengthen political and cultural awareness, thereby contributing to the emergence of the Algerian national movement.

Résumé

Cette étude vise à mettre en lumière le rôle réformateur joué par Omar Racim et Omar Benkaddour à travers leurs activités journalistiques et intellectuelles en Algérie durant la période coloniale française. Elle cherche à analyser leur contribution à la diffusion de la conscience politique, sociale et culturelle, à la défense de l'identité arabo-islamique et à la résistance aux politiques coloniales visant à effacer les fondements de la personnalité algérienne. Le premier chapitre est consacré à Omar Racim, à son parcours, à l'environnement qui a façonné sa pensée, à son appel à l'éducation ainsi qu'à son activité journalistique, en mettant l'accent sur les dimensions politique et sociale de ses écrits. Le second chapitre traite d'Omar Benkaddour, de son milieu intellectuel et social, de son engagement dans l'enseignement, la presse et la réforme sociale, ainsi que de son influence sur le mouvement réformiste algérien. L'étude propose également une analyse comparative des deux réformateurs en mettant en évidence les points communs de leur discours, notamment la défense de l'identité arabo-islamique, la diffusion de la conscience nationale et l'utilisation de la presse comme instrument de réforme, tout en soulignant les spécificités de chacun. L'étude conclut qu'Omar Racim et Omar Benkaddour figurent parmi les principales élites réformatrices algériennes ayant utilisé la presse comme moyen de sensibilisation et de défense de l'identité nationale, contribuant ainsi à l'émergence du mouvement national algérien.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

المقدمة .....أ

الفصل الأول: عمر راسم وريادة الفكر الصحفي في خدمة الاصلاح

المبحث الأول: مسيرة عمر راسم **9**

المطلب الأول: المولد والنشأة المبكرة.....9

1 –ولادته: 9

2 –نشأته:.....10

المطلب الثاني: البيئة المؤثرة في عمر راسم.....11

المطلب الثالث: دعوته إلى التعلم والتعليم 13

المبحث الثاني: النشاط الصحفي لعمر راسم **16**

المطلب الأول: النشاط الصحفي وعلاقته يالصحافة الجزائرية.....16

المطلب الثاني: الوعي السياسي في صحافة عمر راسم.....20

المطلب الثالث: الوعي الاجتماعي في مقالات عمر راسم 25

الفصل الثاني: عمر بن قدور الكلمة الاصلاحية وسلاح الصحافة الوطنية

المبحث الاول: التعريف بعمر بن قدور.....**32**

المطلب الأول: نشأته وحياته 32

المطلب الثاني: البيئة الاجتماعية والفكرية لعمر بن قدور الجزائري.....33

المبحث الثاني: نشاط عمر بن قدور في الصحافة.....**38**

المطلب الأول: مساهمة عمر بن قدور في ميدان التعليم والتأليف والصحافة 38

المطلب الثاني: دوره في الإصلاح التربوي والاجتماعي:.....43

المطلب الثالث: تاثيره في الحركة الاصلاحية الجزائرية 54

تمهيد: **63**

المبحث الأول: نقاط الالتقاء في الخطاب الإصلاحي:.....**63**

المطلب الأول: وحدة الأهداف الإصلاحية والفكرية:.....63

الفرع الأول: النهضة الفكرية والتربوية.....64

الفرع الثاني: التكامل بين الدين والوطنية:.....66

الفرع الثالث: إصلاح المجتمع ونشر الوعي:.....68

المطلب الثاني: الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية:.....69

الفرع الأول: اللغة العربية.....69

الفرع الثاني: القيم الدينية والأخلاقية: 70

المطلب الثالث: توظيف الصحافة لنشر الوعي:.....71

الفرع الأول: أدوات الإصلاح عبر الصحافة: 71

الفرع الثاني: التوعية السياسية والاجتماعية:.....72

المبحث الثاني: مظاهر الاختلاف وخصوصية الطرح الإصلاحي:.....**73**

المطلب الأول: اختلاف الأسلوب الصحفي: 74

الفرع الأول: أسلوب عمر راسم. 74

الفرع الثاني: أسلوب عمر بن قدور: 74

المطلب الثاني: اختلاف القضايا المطروحة: 76

فهرس المحتويات:.....

الفرع الأول: مقالات عمر راسم:.....76

الفرع الثاني: مقالات عمر بن قدور.....77

خاتمة.....81

قائمة المصادر والمراجع 84

المقدمة

1.1المقدمة

شهدت الجزائر خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحولات سياسية واجتماعية وثقافية عميقة نتيجة السياسة الاستعمارية الفرنسية التي مست مختلف جوانب الحياة العامة. وقد انعكست هذه الأوضاع على المجتمع الجزائري، مما أدى إلى ظهور نخبة من العلماء والمفكرين والمثقفين الذين سعوا إلى مواجهة مظاهر التخلف والجهل والمحافظة على مقومات الهوية الوطنية والدينية.

وفي ظل هذه الظروف برزت الحركة الإصلاحية باعتبارها أحد أهم التيارات الفكرية التي عملت على نشر الوعي بين أفراد المجتمع والدعوة إلى الإصلاح في مختلف المجالات.

وقد ارتكزت هذه الحركة على جملة من المبادئ الهادفة إلى النهوض بالمجتمع الجزائري من خلال تشجيع التعليم، ومحاربة الآفات الاجتماعية، والدعوة إلى التمسك بالقيم الدينية والثقافية، إلى جانب مواجهة آثار السياسة الاستعمارية.

ومن بين الوسائل التي اعتمد عليها رواد الإصلاح في نشر أفكارهم وتوجيه الرأي العام، برزت الصحافة الجزائرية بوصفها أداة فعالة للتوعية والإرشاد، حيث ساهمت في معالجة القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية، كما شكلت منبرًا للتعبير عن تطلعات المجتمع والدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية.

وفي هذا الإطار يندرج موضوع دراستنا الموسوم بـ: «رواد الصحافة الجزائرية ودورهم الإصلاحي والتوعوي خلال القرن العشرين (1884-1954) قراءة في نماذج عمر راسم وعمر بن قدور»، والذي يهدف إلى إبراز الدور الذي أداه هذان العلمان في مجال الصحافة والإصلاح، والكشف عن إسهاماتهما في نشر الوعي وترسيخ الفكر الإصلاحي داخل المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على جانب مهم من تاريخ الصحافة الجزائرية، وتبرز دورها في خدمة قضايا الإصلاح والتوعية، من خلال الوقوف على تجربة عمر راسم وعمر بن قدور وتحليل أفكارهما ومساهماتهما في معالجة مختلف القضايا التي عرفها المجتمع الجزائري خلال تلك المرحلة

1.2الإشكالية:

2.1الإشكالية الرئيسية:

انطلاقًا من أهمية الصحافة الجزائرية في نشر الوعي والإصلاح خلال الفترة الاستعمارية، ومن خلال دراسة نموذجَي عمر راسم وعمر بن قدور، تتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤل الآتي:

كيف أسهم عمر راسم وعمر بن قدور في توظيف الصحافة الجزائرية لخدمة الإصلاح والتوعية خلال الفترة الممتدة بين 1884 و1954؟

2.2الإشكاليات الفرعية:

- كيف أثرت نشأة عمر راسم وتكوينه العلمي والثقافي في تشكيل فكره الإصلاحي؟
- ما طبيعة الدور الذي أداه عمر راسم في نشر الوعي الاجتماعي والثقافي من خلال نشاطه الصحفي؟
- كيف ساهم عمر بن قدور في خدمة قضايا الإصلاح والتوعية عبر كتاباته ونشاطه الصحفي؟
- إلى أي مدى كان للخطاب الصحفي لعمر بن قدور أثر في نشر الوعي الفكري والاجتماعي ودعم الحركة الوطنية الجزائرية؟
- ما أوجه التشابه والاختلاف بين عمر راسم وعمر بن قدور في تناول القضايا الإصلاحية والتوعوية ؟

1.3دوافع اختيار الموضوع:

يرجع اختيار هذا الموضوع إلى جملة من الاعتبارات العلمية والموضوعية، من أهمها:

- الاهتمام بدراسة تاريخ الصحافة الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية.
- إبراز دور الصحافة في نشر الوعي والإصلاح داخل المجتمع الجزائري.
- التعرف على إسهامات عمر راسم وعمر بن قدور في المجالين الصحفي والإصلاحي.
- إبراز العلاقة بين الصحافة والحركة الإصلاحية في الجزائر.
- المساهمة في إثراء الدراسات التاريخية المتعلقة برواد الصحافة الجزائرية.
- الوقوف على طبيعة الخطاب الإصلاحي الذي تبنته النخبة الفكرية الجزائرية خلال الفترة المدروسة.

1.4المنهج المتبع:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المناهج العلمية المناسبة لطبيعة الموضوع، والمتمثلة في:

- **المنهج التاريخي:** لرصد الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي نشأت في ظلها الصحافة الجزائرية خلال الفترة المدروسة (1884-1954).
- **المنهج الوصفي التحليلي:** لتحليل مضامين المقالات والكتابات الصحفية لعمر راسم وعمر بن قدور والكشف عن أبعادها الفكرية والإصلاحية.
- **المقاربة المقارنة:** لإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الشخصيتين من حيث القضايا المطروحة والأساليب المعتمدة ومدى تأثيرهما في المجتمع الجزائري.

1.5شرح الخطة:

وعلى ضوء ما سبق عرضه، وللإجابة عن إشكالية البحث والأسئلة الفرعية المطروحة، اعتمدنا خطة بحث تتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، إضافة إلى قائمة المراجع المعتمدة.

خُصِّص الفصل الأول لدراسة شخصية عمر راسم وإبراز دوره في ريادة الفكر الصحفي الإصلاحي، وقد قُسِّم إلى مبحثين رئيسيين. تناول المبحث الأول مسيرة عمر راسم، حيث تضمن ثلاثة مطالب تمثلت في المولد والنشأة، والبيئة المؤثرة في تكوين شخصيته، ثم دعوته إلى التعلم والتعليم ودورهما في تحقيق النهضة والإصلاح. أما المبحث الثاني فقد خُصِّص لدراسة نشاطه الصحفي وإبراز إسهاماته في نشر الوعي الفكري والاجتماعي داخل المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية.

أما الفصل الثاني، فجاء بعنوان: «عمر بن قدور: الكلمة الإصلاحية وسلاح الصحافة الوطنية»، وقد خُصِّص للتعريف بعمر بن قدور وإبراز جهوده في مجالي الصحافة والإصلاح. وقُسِّم هذا الفصل إلى مبحثين؛ تناول المبحث الأول التعريف بعمر بن قدور من خلال دراسة نشأته وحياته، إلى جانب عرض البيئة الاجتماعية والفكرية التي أسهمت في تشكيل شخصيته وتوجهاته. أما المبحث الثاني فقد عالج نشاطه الصحفي والإصلاحي، من خلال إبراز مساهماته في ميادين التعليم والتأليف والصحافة، مع توضيح دوره في الإصلاح التربوي والاجتماعي، وبيان مدى تأثيره في الحركة الإصلاحية الجزائرية.

أما الفصل الثالث، فقد جاء بعنوان: «نقاط الالتقاء ومظاهر الاختلاف في الخطاب الإصلاحي بين عمر راسم وعمر بن قدور»، وقد خُصِّص للموازنة بين الشخصيتين من حيث طبيعة الخطاب الإصلاحي والصحفي، وأوجه التشابه والاختلاف في القضايا المطروحة والأساليب المعتمدة والأهداف المرجوة.

وقد استُهل هذا الفصل بتمهيد عام، ثم قُسِّم إلى مبحثين رئيسيين. تناول المبحث الأول نقاط الالتقاء في الخطاب الإصلاحي لدى كل من عمر راسم وعمر بن قدور، من خلال إبراز وحدة الأهداف الإصلاحية والفكرية التي سعيا إلى تحقيقها، لاسيما ما تعلق بالنهضة الفكرية والتربوية، والارتقاء بالمستوى الثقافي للمجتمع، والتكامل بين البعد الديني والوطني، إلى جانب الدعوة إلى الإصلاح ونشر الوعي. كما تطرق هذا المبحث إلى جهودهما في الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، من خلال الاهتمام باللغة العربية وترسيخ القيم الدينية والأخلاقية، فضلاً عن توظيف الصحافة وسيلةً لنشر الوعي السياسي والاجتماعي.

أما المبحث الثاني فقد خُصِّص لدراسة مظاهر الاختلاف وخصوصية الطرح الإصلاحي لدى كل من عمر راسم وعمر بن قدور، حيث تم التطرق إلى اختلاف الأسلوب الصحفي

الذي اعتمده كل منهما، إضافة إلى تباين القضايا التي تناولاها في كتاباتهما ومقالاتهما الصحفية، بما يعكس خصوصية تجربة كل شخصية في معالجة قضايا الإصلاح والنهضة.

واختُتمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

1.6المصادر والمراجع:

تعد المصادر والمراجع من الركائز الأساسية في أي بحث أكاديمي، لما لها من أهمية في تعزيز مصداقية الدراسة العلمية ودقتها، وتحديد مدى الاستفادة من المادة التاريخية والمعرفية، وفي إطار هذا البحث تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع المتخصصة، من أبرزها مؤلفات أبو القاسم سعد الله، خاصة كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، إلى جانب أعمال كل من زهير إحدادن، وتوفيق مزاري، ومحمد الصالح الصديق، إضافة إلى عدد من الدراسات المتعلقة بـ: عمر راسم وعمر بن قدور، فضلا عن الاستعانة ببعض الجرائد والمصادر الصحفية التاريخية، على غرار جريدة الأخبار.

1.7الصعوبات:

كغيرها من الدراسات الأكاديمية، واجهت هذه الدراسة جملة من الصعوبات، من أبرزها صعوبة الوصول إلى بعض الأرشيفات والوثائق والصحف التاريخية المرتبطة بموضوع البحث، خاصة تلك المتعلقة بالنشاط الصحفي خلال الفترة الاستعمارية. كما واجهت الدراسة تحديات مرتبطة بتعدد المصادر وتباين المعلومات الواردة فيها، إضافة إلى صعوبة جمع المادة العلمية المتعلقة ببعض الجوانب الخاصة بسيرتي عمر راسم وعمر بن قدور. ورغم هذه الصعوبات، فقد تم الاعتماد على مختلف المصادر والمراجع المتاحة قصد الإحاطة بموضوع الدراسة وتحقيق أهدافها العلمية.

الفصل الأول:

عمر راسم وريادة الفكر الصحفي في خدمة الاصلاح

الفصل الأول: عمر راسم ودوره في الصحافة الاصلاحية الجزائرية

1.1المبحث الأول: مسيرة عمر راسم

يشكل المبحث الأول من هذه الدارسة مدخلا أساسيا لفهم شخصية عمر ارسم ودوره الريادي في الحركة الإصلاحية الجزائري، إذ يتناول مسيرته الشخصية والفكرية منذ البدايات حتى تبلور وعيه الوطني والاجتماعي. ويتكون هذا المبحث من ثلاثة مطالب رئيسية: يتناول المطلب الأول المولد والنشأة المبكرة لعمر ارسم وما ارفقها من ظروف أسرية وتربوية شكلت أساس شخصيته؛ أما المطلب الثاني فيبرز البيئة المؤثرة فيه سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي أو الفكري التي ساهمت في بلورة أفكاره الإصلاحية؛ وأخيرا يخصص المطلب الثالث لدعوته إلى التعلم والتعليم التي اعتبرها الركيزة الأساسية للنهضة الجزائرية واستعادة الوعي الذاتي والحضاري. ومن خلال هذه المطالب يتضح كيف ساهمت عوامل النشأة والمحيط في تحويل عمر ارسم إلى أحد أبرز رواد الصحافة الإصلاحية والتوعوية في الجزائر المستعمرة.

1.1.1المطلب الأول: الميلاد والنشأة

1.1 –ولادته:

هو عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي الصنهاجي، وُلد بحي القصبة بالجزائر العاصمة يوم الثلاثاء 15 ربيع الأول 1302هـ الموافق لسنة 1884م. وقد اختلف الباحثون حول الأصول العائلية لعمر راسم؛ إذ يرجع بعضهم أصوله إلى العثمانيين استنادًا إلى لقب "راسم" الشائع في تركيا، وهو الرأي الذي أورده محمد ناصر في كتابه عمر راسم المصلح الثائر. في المقابل، يرى آخرون أنه ينتسب إلى قبيلة صنهاجة الأمازيغية، مستدلين بتوقيعه بعض مقالاته باسم "أبو منصور الصنهاجي"، وهو ما أشار إليه محمد بن عابد الفاسي

(الهلالي) في كتابه تقويم الأخلاق. وتشير المصادر إلى أن أسرته تنحدر من مدينة بجاية قبل أن تستقر نهائيًا بأعالي حي القصبة بالعاصمة.[1]

1.2 –نشأته:

نشأ عمر راسم في بيئة شعبية محافظة بحي القصبة، حيث تلقى تعليمه الأول في الكُتّاب، وتمكن من حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، الأمر الذي أسهم في تكوين شخصيته العلمية والدينية، وشكّل أساسًا لمساره الفكري والثقافي فيما بعد.

وفي سن السابعة بدأ تعليمه النظامي، كما تولى في الثانية عشرة من عمره مهمة "الحزّاب" بجامع السفير بالقصبة، حيث كان يرتل الحزب الراتب من القرآن الكريم، بالتوازي مع دراسته لعلوم اللغة العربية من نحو وأدب.

لاحقًا التحق بالمدرسة الثعالبية، التي كانت تُعد من أبرز المؤسسات التعليمية في الجزائر آنذاك، غير أن إقامته بها كانت قصيرة. وتشير بعض المصادر، ومنها ما أورده محمد بن عابد الهلالي، إلى أنه لم يدرس بها سوى مدة وجيزة قبل أن يُفصل منها. ويرجع ذلك إلى تأثره المبكر بالأفكار الإصلاحية التي دعا إليها الإمام محمد عبده، ومشاركته مع عدد من زملائه في الدفاع عنها، وهو ما عُدّ آنذاك مخالفة للتوجه التعليمي السائد داخل المؤسسة، الأمر الذي أدى إلى إبعاده عنها.

[1] أمينة قلاعي، عمر راسم وقضايا عصره من خلال كتاباته الصحفية 1884 – 1959 م، مذكرة ماجستير،جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، 2014، ص 26.

1.1.2المطلب الثاني: البيئة المؤثرة في عمر راسم

نشأ عمر راسم في مرحلة شهدت فيها الجزائر تحولات سياسية وإدارية مهمة، تمثلت في الانتقال من النظام العسكري الاستعماري إلى النظام المدني، وهو ما رافقه تطبيق سياسات جديدة أثرت في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، وكان لذلك أثر واضح في تشكيل وعيه الفكري وتوجهاته الإصلاحية.[1]

وقد تزامنت طفولته مع عهد «لويس تيرمان» (1881–1891م)، الذي عُرف بتطبيق جملة من القوانين الاستثنائية الموجهة ضد الجزائريين. وفي عهده أُنشئت الحالة المدنية بتاريخ 23 مارس 1882م، وهي خطوة رأت فيها بعض الأوساط الجزائرية وسيلة لإعادة تنظيم المجتمع الجزائري وفق التصورات الإدارية الاستعمارية.[2]

كما عاش عمر راسم مرحلة شبابه في ظل إدارات استعمارية متعاقبة، من أبرزها إدارة «جول كامبون» (J. Cambon) (1891–1897م)، و«شارل جونار» (C. Jonnart) (1903–1913م)، و«شارل لوتو» (C. Lutaud) (1913–1918م). ورغم اختلاف توجهات هذه الإدارات، فإن فترة شارل جونار تميزت بمحاولات إصلاحية تمثلت في الدعوة إلى مراجعة بعض السياسات المطبقة في الجزائر، من خلال توسيع بعض الحقوق الممنوحة للأهالي، والتخفيف من الأعباء الجبائية، وتشجيع التعليم باللغة العربية، واحترام الشريعة الإسلامية، إلى جانب تعيين عدد من العلماء والقضاة والأئمة في مناصب رسمية، وإنشاء بعض المؤسسات الدينية والعمرانية ذات الطابع العربي الإسلامي، ومن بينها مبنى البريد المركزي بالجزائر العاصمة. كما شهدت هذه الفترة تأسيس جامعة الجزائر بموجب قانون 30 ديسمبر 1909م.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009، ص 256.

[2] أبو القاسم سعد الله المرجع السابق، ص 256.

وعلى الرغم من هذا التوجه، فإن الإدارة الاستعمارية عادت إلى تبني إجراءات أكثر تشددًا عقب بعض الاضطرابات التي شهدتها مناطق عين الترك وملیانة سنة 1901م، حيث تم استحداث نظام المحاكم الردعية المخصص للأهالي. ومع ذلك، عرفت الجزائر خلال هذه المرحلة حراكًا فكريًا وثقافيًا أسهم في بروز بوادر النهضة الجزائرية الحديثة1898 م.[1]

إضافة إلى ذلك، شهدت هذه المرحلة تأثيرًا متزايدًا لأفكار النهضة والإصلاح القادمة من المشرق العربي، خاصة تلك التي ارتبطت بأعلام الإصلاح الإسلامي مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والتي دعت إلى الإصلاح الديني والاجتماعي، ومقاومة الاستعمار، والتنبيه إلى التحديات التي واجهت العالم الإسلامي آنذاك. كما ساهمت بعض الصحف والمجلات الإصلاحية الوافدة إلى الجزائر، رغم الرقابة التي فرضتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية، في نشر هذه الأفكار، ومن أبرزها صحيفة العروة الوثقى التي ارتبطت بدعوة جمال الدين الأفغاني، ومجلة المنار التي أشرف عليها محمد رشيد رضا.

وقد ساعدت هذه المطبوعات على تنشيط الحركة الفكرية في الجزائر، وأسهمت في بروز اتجاهات فكرية متعددة، من أهمها:

- تيار المحافظين، الذي ضم العلماء ورجال الدين وبعض شيوخ الطرق الصوفية والإصلاحيين، والذين دعوا إلى الحفاظ على مقومات الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري.
- تيار النخبة المتعلمة، الذي تشكل من فئة المثقفين المتخرجين من المدارس الفرنسية والمتأثرين بالفكر الغربي، وكانت له تصورات خاصة بشأن الإصلاح السياسي والاجتماعي.

[1] مياسي إبراهيم، «عمر راسم والصحافة»، مؤتمر عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد، 15/14 فيفري 2009م.

وقد تميز كل من هذين التيارين برؤيته الخاصة للإصلاح وببرنامجه الفكري والسياسي.[1]

كما كان للبيئة الأسرية التي نشأ فيها عمر راسم دور مهم في تشكيل شخصيته وتوجهاته الفكرية والسياسية، إذ تربى في أسرة محافظة أولت اهتمامًا كبيرًا للتعليم الديني، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة. ورغم أن تراث عمر راسم لم يحظ بالدراسة والتحليل الكافيين، كما أن جزءًا منه لم يصل إلى الباحثين، فإن مقالاته المنشورة في الصحف الجزائرية والتونسية وغيرها تمثل مصدرًا مهمًا لفهم أفكاره ومواقفه، وتبرز مدى وعيه بالأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر والعالم الإسلامي خلال تلك المرحلة.[2]

1.1.3المطلب الثالث: دعوته إلى التعلم والتعليم

أولت مسألة التعليم في الجزائر، وما آلت إليه أوضاعه من تراجع، اهتمامًا كبيرًا لدى النخبة الجزائرية بمختلف توجهاتها، سواء المعربة منها أو المفرنسة. ويُعدّ محمد بن رحال من أوائل الذين تناولوا هذه القضية، إذ أكد في إحدى دراساته أن السياسة التعليمية الفرنسية كانت تهدف إلى إدماج الشعب الجزائري والقضاء على مقومات شخصيته الوطنية. ومن هذا المنطلق دعا إلى إيجاد نظام تعليمي يتكفل بمصاريف تمدرس الجزائريين، مع مراعاة عادات المجتمع الجزائري وتقاليده، وذلك من خلال إنشاء مدارس قريبة من أماكن سكن الأهالي وتمكين أبنائهم من تعليم مجاني تحت رقابة أسرهم. كما نادت بعض شخصيات النخبة المفرنسة، ومن بينها أحمد بن بريهمات، بضرورة العناية بتعليم الأهالي والارتقاء بمستواه.[3]

---

[1] مياسي إبراهيم، مرجع نفسه.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009، ص 256.

[3] أحمد بن بريهمات ولد في الجزائر في 1854م ويعتبر من قدماء تلاميذ المدرسة العربية في العاصمة وهو أخ المترجم إبراهيم بن بريهمات عين مترجماً عسكرياً في 1873م واستقال في 1877م. ص 144.

أما النخبة المعربة، وفي مقدمتها ما عُرف بـ«العمرين»؛ أي عمر بن قدور الجزائري وعمر راسم، فقد أولت أهمية خاصة للتعليم باعتباره أساس النهضة والإصلاح. فقد آمن عمر بن قدور الجزائري بأن تقدم الأمة لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التربية والتعليم، في حين رأى عمر راسم أن تحسين أوضاع الجزائر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية يظل رهينًا بإصلاح المنظومة التعليمية. كما اعتبر أن التعليم كان يشهد تراجعًا مستمرًا في ظل السياسة الاستعمارية، رغم كونه الوسيلة الأنجع لتوعية المسلمين وتنمية مداركهم.

وأكد عمر راسم أن التعليم يمثل الركيزة الأساسية للبناء الحضاري والرقي الاجتماعي، مشيرًا إلى أن تاريخ الجزائر حافل بالأمجاد العلمية التي أسهمت في صناعة نهضتها عبر مختلف العصور. كما أشاد بالمكانة العلمية التي احتلتها مدن جزائرية عديدة، وفي مقدمتها بجاية، التي كانت مقصدًا للعلماء وطلاب المعرفة، إلى جانب مدن أخرى مثل تلمسان ومازونة. وفي هذا السياق قال: «... قد كان للبلاد العربية الحظ الأوفر في العلوم ولها معاهد علمية سارت لها الركبان في القرون الغابرة، حتى كانت مدينة بجاية بمثابة الأكاديمية الإسلامية، فما من مسألة علمية أو أدبية صعبت على علماء الآفاق إلا وسهلت على علماء بجاية، وبعد هذه البلدة الطاهرة تأتي تلمسان ومازونة...».[1]

كما دعا عمر راسم الآباء إلى تحمل مسؤولياتهم تجاه تعليم أبنائهم، وحثهم على الاعتماد على جهودهم الخاصة في سبيل توفير فرص التعلم لهم. ولم يقتصر خطابه على عامة الناس، بل وجّه نداءً إلى الأغنياء وأصحاب النفوذ للمساهمة في إنشاء المؤسسات التعليمية وتمويلها من أموالهم الخاصة خدمةً للمجتمع، حيث صرح قائلاً: «... أدعوهم ليكونوا وينشئوا معاهد التعلم ويعملوا طالما للفكر ... يغفر لهم عما خفوه (كذا) ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره».[2]

---

[1] عمر راسم، «انحطاط التعليم واللغة العربية»، جريدة الحق الوهراني، ع 42، 27-03 أوت 1912، في: توفيق مزاري عبد الصمد، الوعي السياسي والاجتماعي في صحافة عمر راسم، ص 97-98.

[2] عمر راسم،المرجع السابق، ص 97-98.

اتسمت رؤية عمر راسم الإصلاحية بالوضوح والانسجام، إذ اعتبر أن نهضة الأمة وإصلاح أحوالها لا يمكن أن يتحققا إلا بالتمسك بتعاليم الدين الإسلامي القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما أولى أهمية كبيرة للتعليم، مؤكداً ضرورة اعتماد اللغة العربية لغةً أساسية للتدريس، مع تدريس اللغة الفرنسية كلغة ثانوية، حفاظاً على مقومات الشخصية الوطنية وترسيخاً للهوية العربية الإسلامية.

وفي هذا السياق، دعا إلى إنشاء مدارس أهلية تتولى الجماعة الوطنية تمويلها والإشراف عليها، اعتماداً على جهود الأهالي وإمكاناتهم الخاصة، بما يعزز قيم التعاون والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الجزائري. ويكشف هذا التوجه عن سعيه إلى ترسيخ روح التضامن والعمل الجماعي، وجعل التعليم مشروعاً مجتمعياً يسهم فيه الجميع خدمةً للمصلحة العامة.

كما ارتبطت دعوته إلى التعليم الأهلي برفضه للسياسة التعليمية الاستعمارية، إذ رأى أن المدارس التي أنشأتها الإدارة الفرنسية كانت تخضع لأهداف استعمارية تسعى إلى تقييد التعليم العربي الإسلامي وتوجيهه بما يخدم مصالحها. ومن ثم، دعا إلى بناء مؤسسات تعليمية وطنية مستقلة تسهم في الحفاظ على اللغة العربية وصون القيم الدينية والوطنية.

واعتبر عمر راسم أن التعليم يمثل الوسيلة الأساسية لإيقاظ الوعي لدى الجزائريين وتمكينهم من إدراك حقيقة أوضاعهم السياسية والاجتماعية والثقافية، وما نتج عن السياسة الاستعمارية من تهميش وتخلف وانسلاخ عن مقومات الهوية الوطنية. وفي هذا الإطار أكد قائلاً: «أجل، يجب أن نتعلم لكي نشعر أننا ضعفاء، ويجب أن نتعلم لكي نعرف أننا مظلومون، ويجب أن نتعلم لكي نعرف كيف نرفع أصواتنا في وجه الظلم، ويجب أن نتعلم لكي ندافع عن الحق

وتأبى نفوسنا الضيم، ولكي نطلب العدل والمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية، وفي النهاية كي نموت أعزاء شرفاء، لا أن نعيش أذلاء جبناء».[1]

2.2المبحث الثاني: النشاط الصحفي لعمر راسم

يُعدّ المبحث الثاني المحور الأساسي في هذه الدراسة، إذ يتناول النشاط الصحفي لعمر راسم باعتباره أبرز مجالات نشاطه الإصلاحي والفكري في مواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية. فقد اتخذ من الصحافة وسيلة فعالة لنشر الوعي السياسي والاجتماعي، والدفاع عن مقومات الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري في ظل السياسات الاستعمارية الهادفة إلى طمس الشخصية الوطنية وإضعاف مقوماتها الحضارية.

ويتوزع هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب رئيسية؛ يتناول المطلب الأول علاقة عمر راسم بالصحافة الجزائرية ومساره في العمل الصحفي، بينما يركز المطلب الثاني على مظاهر الوعي السياسي في كتاباته ومواقفه تجاه القضايا الوطنية، أما المطلب الثالث فيعالج الوعي الاجتماعي كما تجلى في مقالاته الإصلاحية. ومن خلال ذلك يتبين أن الصحافة لم تكن بالنسبة لعمر راسم مجرد وسيلة إعلامية أو مهنة يمارسها، بل كانت مشروعًا إصلاحيًا متكاملًا أسهم في تنمية الوعي الوطني وتعزيز الروابط الاجتماعية والحضارية للمجتمع الجزائري في ظل الظروف الاستعمارية.

2.1.2المطلب الأول: النشاط الصحفي وعلاقته يالصحافة الجزائرية

اتجه عمر راسم إلى العمل الصحفي ابتداءً من سنة 1326هـ/1908م، حيث بادر إلى تأسيس مجلة «الجزائر»، وهي مجلة اجتماعية وعلمية وأدبية وتربوية صدرت بمدينة الجزائر العاصمة

[1] المرجع نفسه، ص 97-98.

في أول شوال 1326هـ الموافق لـ27 أكتوبر 1908م. وقد أشرف على إصدارها عمر راسم بمساندة نخبة من الكتّاب والمثقفين الجزائريين.

وكان من المقرر أن تصدر المجلة بصورة نصف شهرية، غير أن الصعوبات المالية التي واجهت صاحبها حالت دون ظهورها بانتظام. لذلك اكتفى بإصدار عددين تجريبيين في شكل ملحقين ريثما يتمكن من توفير الإمكانات اللازمة لتركيب المطبعة وتجهيزها. ورغم الجهود التي بذلها في جمع الاشتراكات والتبرعات، فإن المشروع لم يكتب له الاستمرار، ولم تصدر المجلة في شكلها النهائي.

وقد صدر الملحق الأول ثم الملحق الثاني بتاريخ 20 شوال 1326هـ الموافق لـ15 نوفمبر 1908م، وجاءا بمثابة نموذج أولي للمجلة المرتقبة من حيث الشكل والمحتوى. كما حرص عمر راسم على توضيح أسباب تأخر صدورها للقراء، فنشر اعتذارًا أوضح فيه أن ظروفًا قاهرة حالت دون الوفاء بالموعد المحدد، مشيرًا إلى الجهود المبذولة لتوفير الحروف العربية وتجهيز الوسائل الفنية اللازمة لإصدار المجلة في صورة تليق بأهدافها العلمية والأدبية. غير أن هذه المساعي لم تكلل بالنجاح، ولم ترَ مجلة «الجزائر» النور بعد صدور ملحقيه.[1]

تميزت مجلة «الجزائر» بمستوى راقٍ من حيث الأسلوب والإخراج واختيار الموضوعات التي عالجتها. فقد زُينت صفحتها الأولى بعنوانين؛ أحدهما باللغة العربية كُتب بخط بارز في الجهة اليمنى داخل شكل هلالي يتضمن تعريفًا بالمجلة وأهدافها المتمثلة في كونها «مجلة اجتماعية علمية أدبية تهذيبية»، والآخر باللغة الفرنسية في الجهة اليسرى، في دلالة على سعيها إلى مخاطبة شرائح مختلفة من القراء.

[1] عمر راسم،المرجع السابق ،ص ص 97-98.

كما تضمنت الصفحة الأولى، أسفل العنوانين، بيانات النشر الأساسية، من بينها تاريخ الصدور ومواعيده المحددة في اليوم الأول والخامس عشر من كل شهر إفرنجي، وسعر النسخة المحدد بعشرة سنتيمات، ورقم العدد، إضافة إلى عبارة «الملحق الأول للمجلة».

كما أوضحت قيمة الاشتراكات السنوية التي بلغت سبعة فرنكات بالنسبة للجزائر وتونس والمغرب وطرابلس، وتسعة فرنكات بالنسبة لبقية البلدان الإسلامية، مع تخصيص عنوان للمراسلات باسم عمر راسم بشارع موغادور رقم 2 بمدينة الجزائر.

واعتمدت المجلة في عرض موادها على ثلاثة أعمدة، واستهل عمر راسم صدورها بكلمة افتتاحية حملت دلالات فكرية وإصلاحية عميقة، خصص لها عمودًا كاملًا من الصفحة الأولى، أكد فيها أهمية الصحافة باعتبارها وسيلة فعالة للتأثير في الرأي العام وتوجيه المجتمع نحو الخير والإصلاح، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾، ومبرزًا الدور الذي يمكن أن تؤديه الصحافة في خدمة المجتمع والنهوض بأوضاعه.

كما اتسمت المجلة بطابعها الشعبي، حيث حرص صاحبها على تحديد اشتراكاتها بأسعار مناسبة قصد تشجيع مختلف فئات المجتمع على اقتنائها والمساهمة في دعم مشروعها الإصلاحي والثقافي، بما يخدم المصلحة الوطنية ويعزز روح التعاون بين أبناء الوطن

أما فيما يتعلق بمحتوى الملحق الأول، فقد اشتمل على افتتاحية تناولت أهمية خوض غمار العمل الصحفي، إلى جانب مقال رئيسي بعنوان «نهضة الأمة وحياتها» للشيخ الطنطاوي الجوهري، فضلًا عن مقالات أخرى مثل «المسألة الشرقية» و«النهضة الشرقية»، بالإضافة إلى باب أدبي ضم أبياتًا شعرية ذات مضامين فكرية وسياسية، وقسم خاص بالإعلانات.[1]

[1] عمر راسم، المرجع السابق، ص ص 97-98.

في حين تضمن الملحق الثاني مقالًا افتتاحيًا بقلم أحمد خليل المصري، حمل رسالة تحفيزية موجهة إلى مسلمي الجزائر، ومقالًا بعنوان «النفس وما تريد» لأحمد أبو حسين، ركز فيه على أهمية التعليم ودوره في النهوض بالمجتمعات، إلى جانب استكمال نشر موضوع «المسألة الشرقية»، ومقال حول أوضاع المسلمين في الهند، وآخر بعنوان «الاستقلال المصري» تناول مؤتمر الشباب المصري المنعقد بمدينة جنيف.[1]

أعاد عمر راسم نشاطه الصحفي بعد توقف مجلة الجزائر. ففي سنة 1327هـ/1909م راسل جريدتي «المرشد» و«مرشد الأمة» التونسيتين ونشر فيهما مقالات. ثم في سنة 1330هـ/1912م التحق بجريدة «الحق» الوهرانية (تصدر بالفرنسية في وهران)، التي كان مديرها الفرنسي شارل تابي، الذي اعتنق الإسلام ودافع عن حقوق المسلمين. كُلِّف عمر راسم برئاسة تحرير القسم العربي في الجريدة (صفحتان، ثم انفصل هذا القسم لاحقًا ليصدر في شكل جريدة مستقلة من أربع صفحات). كتب عمر راسم معظم المقالات بخط يده، فتميّزت الجريدة بإخراج فني لافت باللغة العربية. صدر منها عشرة أعداد عربية، عارض فيها بشدة التجنيد الإجباري، وانتقد «الشباب الجزائريين» المتفرنسين الداعين إلى الاندماج. توقفت الجريدة في أغسطس 1912م بسبب لهجتها الوطنية الصريحة.[2]

شارك عمر راسم في تأسيس جريدة «الفاروق» مع عمر بن قدور، والتي صدر عددها الأول في 18 فبراير 1913م؛ وكانت أسبوعية إسلامية وطنية اهتمت بقضايا المسلمين.

بعد ثمانية أشهر من صدور «الفاروق»، أصدر عمر راسم صحيفة حرة سماها «ذو الفقار» سنة 1331هـ/1913م، مستعملاً اسمًا مستعارًا «ابن المنصور الصنهاجي». تميّزت الصحيفة بإخراج فني ملفت ومضمون مميز، وكانت أول جريدة عربية جزائرية يقوم شخص واحد

[1] AL DJAZAIR - Revue Algérienne - D'Education sociale - M. Omar RACIM – alger -1980.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 279.

بتحريرها وكتابتها ورسم صورها وطبعها وبيعها. لم تكن جريدة منتظمة في الصدور، وصدر منها أربعة أعداد فقط (كان آخرها بتاريخ 28 جوان 1914م). عبَّر الدافع وراء إنشائها بقوله إنهم أقاموها لردّ ما يلحق الإسلام من طعنات، فأنشأوا هذه الجريدة لمحاربة أعداء الدين.

اتّسمت مقالاتها بطابع اجتماعي–ديني حاد، ووصفت الصحيفة نفسها بأنها «جريدة عمومية اشتراكية انتقادية». هاجمت أصحاب الثروات الاحتكارية، ودعت إلى اشتراكية مستندة إلى قيم إسلامية، ونبهت مبكرًا إلى خطر الصهيونية. كان عمر راسم متأثرًا بفكر محمد عبده إلى حد الإعجاب، حتى أنه نشر صورة لعبده على غلاف العدد الثالث. وصرح في افتتاحية العدد الأول بأن «ذو الفقار جريدة عبدوية إصلاحية... بعيدة عن السياسة لأنها مهما دخلت في شيء إلا أفسدته».

وضع المؤلف اهتمامًا بالغًا على الإخراج الفني، فضمّت الصحيفة رسوماً يدوية على الصفحات الأولى ترمز إلى أهدافها الإصلاحية (ومن رسمها صاحب الجريدة نفسه). في العدد الأول رسم صورة رجل مصري يحمل سيفًا يقطع النفاق والحسد، وفي الصفحة الرابعة قدّم رسمًا يدعو إلى التعاون والرحمة بالفقراء.

انتقد عمر راسم الأوضاع الاجتماعية بالكلمة والصورة بأسلوب حاد، ما أثار بعض الملاحظات حتى من زميله عمر بن قدور الذي امتدح الصحيفة رغم اختلاف التوجّه. عانت الجريدة من عجز مالي، وغاب بينها وبين عددها الثالث نحو ثمانية أشهر. أخمدت سلطات الاستعمار أنفاسها بعد العدد الرابع بحجة الحرب العالمية الأولى، وتدخّل البوليس السري فعُرض صاحبها للاعتقال والسجن.[1]

2.2.2المطلب الثاني: الوعي السياسي في صحافة عمر راسم

2.2.1 معالجة القضايا الوطنية في الخطاب الصحفي لعمر راسم:

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 280.

ندما ظهر عمر راسم على الساحة الوطنية لم يكن الجزائريون يعتنون بالعمل الصحفي إلاّ قليلاً، بينما كانت الصحافة باللغة الفرنسية مزدهرة ومتنوعة، تضم اليوميات والأسبوعيات والدوريات والمجلات في جميع أنحاء الجزائر. في المقابل، لم يتجاوز نشاط الجزائريين العمل في جريدة «المبشر» التي كانت تصدرها السلطات الاستعمارية. وكان عمر راسم واحداً منceuxالذين اشتغلوا في «المبشر»، مما أكسبه خبرة جعلته يثق في قدراته ليخوض ميدان الصحافة والنشر، وجعله يتنبه إلى ضرورة تكثيف النشاط الصحفي وإخراجه من سباته[1]

كان يرفض العمل السياسي الحزبي، فلم ينتمِ إلى أي حزب سياسي؛ فهو ليس اندماجياً ولا حزبياً ولا راضياً عن القيادات الجديدة. إلا أنه، بنشاطه الصحفي، أسهم في التوعية الوطنية بالتنبيه وإشعار الناس بظلم الاستعمار، كأنه يدعو إلى الثورة على الوضع؛ لأن الظلم لا يولّد الثورة، بل الشعور بالظلم هو الذي يفجرها، وهذا هو دور المفكرين المنظرين لحركة التغيير في التاريخ. كان ذلك عن طريق نشاطه الصحفي الهادف إلى نهضة الأمة الجزائرية لنفض الغبار عن واقعها التعيس .[2]

رغم الصعوبات المالية التي واجهت عمر راسم، فقد كانت بداية نشاطه مبكرة سنة 1908م/1326هـ بإنشاء مجلة «الجزائر»، التي أصدر منها عددين تجريبيين (العددان موجودان في أرشيف المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس) في شكل ملحقين، إلا أنها لم تظهر إلى الوجود فعلياً.[3]

ويبدو من خلال عنوانها أنها تحمل دلالات سياسية وحضارية قوية، وأقل ما يُقال عنها تكريس فكرة «الإيمان بالوطن» – الجزائر – وحتى باللغة الفرنسية

---

[1] زهير إحدادن، 2009، ص 241.

[2] المرجع نفسه.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، 2009، ص 285.

كتبها **AlDjazair**وليس **Algérie**، وفي ذلك دعوة صريحة إلى تصحيح المفاهيم بالتخلص من المصطلح الاستعماري الذي وضعته وزارة الحربية الفرنسية سنة 1839م، والعودة إلى المصطلح الأصيل. وفي ذلك أكثر من دلالة، لأن تصحيح المفاهيم له أثره الكبير في بناء الوعي السياسي.

والقراءة الأولية لما جاء فيها كانت دعوة صريحة لنهضة الجزائر، خاصة المقال الرئيسي في عددها الثاني بعنوان: «نهضة الأمة وحياتها» للشيخ «الطنطاوي الجوهري»، وهو أحد علماء الأزهر الشريف.[1]

وكانت المجلة تعطي اهتماماً كبيراً لما يجري في المشرق الإسلامي، بدليل أنها فتحت صفحاتها لأقلام الكتاب من أنحاء العالم الإسلامي، مما يبين أن الوعي السياسي لدى عمر راسم كان يتجاوز المستوى المحلي إلى المستوى الإقليمي والعالمِي، من أجل نشر أفكاره السياسية المبنية على مقاومة النزعة الاستعمارية والمطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين، حتى أنه كان يميّز رسائله بعبارة «البائس اليائس الثائر على العصر وأهله» .[2]

وتعد مجلة «الجزائر» أول مجلة عربية يصدرها جزائري، واعتبرها «أحمد توفيق المدني» أولى الجرائد الحرة. وقد كان «عمر راسم» يدعمها بالرسومات الساخرة التي كان يرسمها بنفسه، سعى من خلالها إلى توعية الجزائريين وتثقيفهم وتعليمهم وإطلاعهم على واقعهم وما يجري في العالم الخارجي .[3]

فعلى الصعيد الوطني، نجده يشخص وضع الجزائر السياسي على أنه في أسوأ حال، واعتبر ما وقع في الجزائر إنما هو «الفساد الأخلاقي والاجتماعي»، وانتقد الخطباء السياسيين

---

[1] ابو قاسم سعد الله،المرجع السابق، ص 285.

[2] توفيق مزاري عبد الصمد، 2009، ص 32.

[3] المرجع نفسه.

الذين تحدثوا عن سعادة الجزائريين معتبراً ذلك تزويراً للحقائق، لأنه اعتبر أن الجزائري تحت الاستعمار الفرنسي «هو آخر الآدميين درجة فقراً وجهلاً». ونفس الشيء أبداه عن وضع العالم الإسلامي، حيث أدرك بثاقب نظره أن ما يحدث فيه من تغيير لا يخدم مستقبله، وأن هذا القرن بالنسبة للعالم الإسلامي هو قرن الظلمات. فهذه النظرة السوداوية لأوضاع الجزائر والأمة الإسلامية برمتها كانت واعية بأن الاستعمار الغربي الحديث هو أكبر عائق أمام نهضة الجزائر والعالم الإسلامي. والمستخلص من ذلك فإن صحيفة «الجزائر» كانت رائدة في العمل على نشر الثقافة الإسلامية العربية في أوساط الجزائريين، وإيجاد نخبة وطنية متشبعة بذلك .[1]

2.2.2 إسهامات عمر راسم في الصحفية في الجرائد التونسية وجريدة الحق الوهراني:

رغم العرقلة التي تعرضت لها جريدته «الجزائر» وتعثرها حتى ترى النور، إلا أنه واصل نشاطه الصحفي في الجرائد التونسية – جريدة «مرشد الأمة» التونسية، وجريدة «التقدم» التونسي، وغيرها من الجرائد التونسية، إضافة إلى جريدة «الحق الوهراني» (1911م). ولا أدل على توجهه الوطني أنه كان يتوجه بالنصح لكل من يصدر جريدة جديدة في تونس أن يلتزم بخدمة قضايا الوعي السياسي والاجتماعي، كما فعل وهو يهنئ الشيخ «الطيب بن عيسى» بصدور جريدته «المشير» سنة 1911م، بالقول له: «أرجوكم نعم الأخ أن تجعل مشرب الجريدة انتقادياً وخادمة للدولة العلية، وأن تنتقد عليها في كل ما تراه حسناً.. أيها الأخ اعلم أنك جزائريٌّ الجدّ، فلا تغفل عن وطنك ودافع عنه بقدر الطاقة، ولا تخشَ في الله لومة لائم، وكن مع نصر الله يكن معك، وعلى الوطن يعينك الله، وحب الوطن من الإيمان». وقد كان عمر راسم مراسلاً بارزاً لها من الجزائر رفقة عمر بن قدور، يساهم بمقالين في جريدة «التقدم» التونسية (1907–1908م): الأول بعنوان «رأي حر»، وهي عبارة عن رسالة وجهها إلى السلطات الفرنسية، ركز فيها على انتقاد السياسة الفرنسية

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، 2009.

والفئة الاندماجية؛ لأنهم ولّوا وجوههم شطرَ فرنسا واتبعوا سياسة المتغلبين على الوطن، واعتبر الفئة الاندماجية خطراً على المسلمين الجزائريين، لأنها تريد أخذ الحقوق السياسية عن التفرنّز والاندماج، فيذكرهم بقوله: «..أولئك الذين تخلقوا بمفاسد التمدن الحديث وشروط الحضارة الجديدة»، وكان له أثر كبير في الأوساط الجزائرية والعربية .[1]

ونشر مقالات أخرى في جريدة «مرشد الأمة» وجريدة «المشير»، فكان صوتاً جريئاً حارب الاستعمار وبين أساليبه القذرة التي كان يستخدمها الاستعمار لفرنسة الجزائر ومحو هوية الأمة. فتبنى بذلك أفكار محمد عبده التي كان متأثراً بها .[2]

أما جريدة «الحق الوهراني» التي صدرت بوهران بتاريخ 15 أكتوبر 1911م، فإنها تندرج في التيار السياسي الذي يدعو إلى المشاركة، واتخذت «خطاب نابليون الثالث» للمسلمين في الجزائر شعارًا لها، الذي جاء فيه: «أريد أن أجعلكم تشاركون أكثر في إدارة بلدكم». وكانت معارضتها الشرسة لتيار الإدماج وقانون التجنيد الإجباري عاملاً هامًا جعل عمر راسم يستجيب لطلب الجريدة للإشراف على قسمها العربي، الذي لم يكن يتجاوز الصفحتين، لأنه كان متفقًا مع هذا المسار. وكانت أغلب مقالاته فيها حول الهجرة والهجوم على الاندماجيّين، وصب جام غضبه على قانون التجنيد الإجباري الذي صدر في هذه الفترة. ولعل ذهابه إلى مصر سنة 1912م كان تعبّرًا عن ذلك، وفي نفس الوقت استجابة للأفكار الإصلاحية التي أطلقها محمد عبده، وللإطلاع على أحوال المسلمين هناك ومعاينة مدى نجاح الحركة الإصلاحية .[3]

ومن خلال نشاطه الصحفي ومتابعته للأحداث على المستويين الوطني والدولي، بدا عمر راسم يقظاً لحالة اليهود في الجزائر منذ منحهم «قانون كريميو» الجنسية الفرنسية عام 1870م.

---

[1] أمينة قلاعي، المرجع السابق، 2015/2014، ص 37.

[2] رغداء زيدان، المرجع السابق، 2009، ص 33.

[3] رغداء زيدان،المرجع السابق، ص 33.

وقد أدرك، إلى جانب زميله عمر بن قدور، بعض خبايا المخططات الصهيونية وطموحاتها في القدس وفلسطين، ومن ثم خطرها المحتمل على العالم العربي، فنبَّه إلى ذلك مبكراً. ولم يكتفِ بالتنبيه؛ بل نشر فصولاً في صحيفتي «المرشد» و«مرشد الأمة» (التونسية) دعا فيها إلى مقاومة هذا الداء، موضحاً خطره على الجزائر والأمة الإسلامية. كما هاجم الصهيونية والاستعمار بوصفهما من أصلٍ واحد، وانضم إلى جمعيات مناهضة للصهيونية. أمّا في مقالاته المتأخرة، فقد نسب بعض أسباب ضعف الخلافة الإسلامية إلى تسلّل عناصر صهيونية إلى مراكز القرار في الحكم العثماني [1]

ولم يقتصر نشاطه على ذلك فحسب؛ فقد كتب أيضاً في صحيفة «السعادة» الصادرة في المغرب الأقصى عام 1944، وفي جريدة «هنا الجزائر» خلال الفترة 1954–1957، وإن خفت حدة مواقفه وحماسه في تلك المرحلة..[2]

2.1.3المطلب الثالث: الوعي الاجتماعي في مقالات عمر راسم

1,3,1 مظاهر الدعوة الاصلاحية في فكر عمر راسم

لا يخفى على الباحث في تاريخ الجزائر ما آل إليه المجتمع الجزائري تحت الحكم الاستعماري من تدهورٍ اجتماعي وفكري، وبروز مظاهر الجهل والبؤس، وسيطرة اتجاهات زاوية منحرفة أثّرت في تماسك الروابط الحضارية. وقد لاحظ إسماعيل حامت أن «للإلحاد الغربي تأثيراً واسعاً في جمهور لا يستهان به من مسلمي الجزائر، وإن ظلوا مسلمين ظاهرياً فهم يجهلون مقدار تلاشي روحهم».[3]

كان لدى عمر راسم قناعةٌ راسخة بأن نشر الوعي السياسي للنهوض بالمجتمع الجزائري لا يمكن أن يتحقق بمعزل عن إصلاح اجتماعي يفضي إلى وعي بالذات

[1] رغداء زيدان، المرجع السابق، ص35.

[2] رغداء زيدان، المرجع نفسه.

[3] عمار طالبي، المرجع السابق، ص 47.

وبالمرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع، وما يترتب على ذلك من قدرةٍ على اتخاذ مواقف تنهض بالمجتمع وتحرره من جلد الذات، وبناء فعل اجتماعي وسياسي ناضج.[1]

شرع راسم مبكراً في نشر الوعي الاجتماعي عبر مقالاته الصحفية، رغم أن مسار الإصلاح عبر الصحافة كان صعب المنال آنذاك، فقد حاول إصدار صحيفة بعنوان «الإصلاح» لاستخدامها منصةً لنشر أفكاره التجديدية .[2]

تأثر راسم بمدرسة التجديد الإسلامي وحركة «الجامعة الإسلامية»؛ فقد كان شاباً حين زار الشيخ محمد عبده الجزائر سنة 1903م، فتأثر بمبادئه، وهو ما أثار سخط بعض المشايخ التقليديين الجامدين في مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية التعالبية التي كان طالباً بها فطُرد منها .[3]

على هذا الأساس، انخرط راسم في حركة النهضة الجزائرية في مطلع القرن العشرين، سعياً إلى بناء أولى مرتكزات الوعي الاجتماعي وإعادة إنتاج الشخصية الجزائرية بأبعادها العربية الإسلامية، مستعيناً بالصحافة والفنون والنشاط الثقافي كوسائل إصلاحية .[4]

شخّص راسم الحالة الاجتماعية للجزائر بأنها بلغت درجة بالغة السوء، ورأى أن ما أصاب المجتمع من انحلال أخلاقي واجتماعي خدم استمرار هيمنة الاستعمار. لذلك اعتُبر من رواد الكفاح الاجتماعي والإصلاح، إذ وجّه نقده لِلفئة الاندماجية والمتغربة المتأثرة بالنمط الغربي، وناضل لاسترجاع المجتمع إلى جذوره العربية والإسلامية .[5]

---

[1] توفيق مزاري عبد الصمد، الوعي السياسي والاجتماعي في صحافة عمر راسم، (مقالة منشورة في مجلة أو بحث جامعي، 2025.

[2] محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، الجزائر: لافوميك، 1976، ص 16.

[3] محمد ناصر، المرجع السابق، ص 16..

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص 288.

[5] عادل نويهض، المرجع السابق، ص 243،أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، ص 155.

تجلّى ذلك بوضوح في صحيفة «الجزائر» التي أسسها عام 1908م وكرسها لصياغة هوية جزائرية حضارية؛ فقد وصفتها مجلة «العالم الإسلامي» بأنها صحيفة دينية بالدرجة الأولى، لكونها سعت إلى تكوين نخبة جزائرية متشربة بالثقافة العربية الإسلامية، وهو الهدف الذي تبنته لاحقاً جمعية العلماء المسلمين .[1]

بنى راسم مفهوم الوعي الاجتماعي على أساس حركي إيجابي ومعاصر، فرفض أن يتحول الإصلاح إلى انزواء تعبدي أو رفض للعمل الدنيوي والاجتماعي. ومن ثم حارب في صحافته مظاهر الدروشة والتواكل والخمول المنتشرة في بعض الزوايا التي استُدرجت أو دُجنت بتأثير الإدارة الاستعمارية، ودعا بدلاً من ذلك إلى الاجتهاد والعمل المستمر، قائلاً مجازاً: «الأحذية أولا ثم الصلوات بعد ذلك» .[2]

ففي محاولته تصحيح المفاهيم السلبية بمضامين إيجابية بنّاءة للمجتمع، تساءل عمر راسم في افتتاحية العدد الثالث من جريدته «ذو الفقار» المعنونة «الإسلام والمسلمون» بأسى: كيف يكون المرء مسلماً في بلادٍ خلت مساجدها من المصلين، بينما امتلأت شوارعها باللصوص والسفلة، وحيث انتشر الربا والسلب والنهب، وعمّ الجفاء بين الناس، وانعدم الإحسان، وكثر تقليد الكافرين (الفرنسيين)؟ .[3]

ومن أجل رفع مستوى الوعي في المجتمع الجزائري دعا راسم إلى نبذ الكسل والخمول والتوكل على الغير، وإلى التخلق بالفضيلة. فقد رأى أن الأمة إن لم تَدرِ الأسباب التي أوصلتها إلى المأزق مع أنها كانت قوّة وسؤدداً يوم كانت تتصف بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات فسوف تزول مكانتها، فدعا الله أن يجري في عروق الأمة دم السلف.[4]

---

[1] سعد الله، المرجع السابق، ص 285.

[2] عمر راسم، جريدة ذو الفقار، عدد 20 رجب 1332هـ / 14 جوان 1914، ص 1.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص 289.

[4] محمد ناصر، المرجع السابق، ص 21.

وانتقد راسم بشدة مظاهر التفسخ والانحلال الأخلاقي لدى الشباب المتفرنس، وهدَف نقده إلى إظهار ولاء بعض الفئات للاستعمار، إذ شبّههم بآفاتٍ أفسدت البلاد وخانوا ملتهم باسم «المدنية» و«الإصلاح»،«إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» (البقرة: 12).[1]

ورأى راسم أن الأداة الأهم لاستعادة الوعي بالذات الاجتماعية والحضارية تكمن في التربية العلمية للأجيال الصاعدة، ليتبلور الضمير الوطني وتتفتح أعين الجزائريين على واقعهم المرير. ولذلك اعتبر التعليم باللغة العربية ضرورياً حتى لا يكون عرضه لتحكم الإدارة الاستعمارية أو توجيهها الثقافي كما فعلت مؤسسات مثل كتاتيب شارل جونار، وحذّر الشيوخ القائمين على هذه المؤسسات من مواقفهم الواقعية والمرتبكة بوصفهم «حمر وحشية».[2] وعلى الرغم من أنه كان مزدوج اللغة، دافع راسم دفاعاً حازماً عن اللغة العربية، معتبرها لغة العلم والحضارة القادرة على مجاراة العصور المختلفة، ومبرِزة دورها في تمدين الأمم وازدهارها خلال العصور الإسلامية، كما فند الدعاية الاستعمارية المغرضة وشكك في تنكر بعض الجزائريين لها.[3]

ومن بين إسهاماته في خدمة اللغة العربية، نشره لكتاب «تفسير القرآن الكريم» الذي عرض فيه رؤيته الإصلاحية لمعالجة وضع الجزائر. كما ترك مخطوطة بعنوان «تراجم علماء الجزائر» تضم تراجم مختصرة لشخصيات جزائرية من شيوخه مثل حمدان خوجة وعبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية، ممن ساهموا في تأسيس العمل الوطني والإصلاحي، في دعوةٍ للاقتداء بهم. وقد عبّر عن افتخاره بالهوية العربية قائلاً: «سحقاً علينا ألا نتكل على غيرنا، وألا نهمل أجدادنا وتعاليم ديننا، وإلا فلنمُت موتة الجاهلية... نحن عرب نحن مسلمون نموت عرباً نموت مسلمين».[4]

---

[1] عمر راسم، المرجع السابق، ص 02.

[2] توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ص ص 104-105.

[3] عمر راسم، جريدة ذو الفقار، العدد الأول، 1913، المرجع السابق، ص 1.

[4] توفيق مزاري،المرجع السابق، ص ص 104-105.

دعا عمر راسم إلى أن يكون العلم وسيلة اعتزاز وكرامة توقظ الحس الوطني في مواجهة الظلم والظالمين، فكتب: «أجل يجب أن نتعلّم لكي نشعر بأننا لا نُهان، يجب أن نتعلّم لكي تأبى نفوسنا الضيم، ولكي نطلب العدل والمساواة في الحقوق الطبيعية، ولكي نموت أعزاء شرفاء لا نعيش أذلاء جبناء، لنتعلم كيف نرفع أصواتنا في وجه الظلم، لندافع عن الحق، ليزول التمييز، لقبر التفضيل والتخصيص... فكفاهم تعذيبا للإنسانية، كفاهم تمزيقاً لجسدها...».[1]

1.3.2 العدالة الاجتماعية في صحافة عمر راسم:

انحاز عمر راسم إلى الأفكار الاشتراكية بوصفها نهجاً لتحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص كشرط لنهضة المجتمع، انطلاقاً من إيمانه بسماحة الإسلام وعدالته وبتقاطعها مع مبادئ الاشتراك كما تناولها بعض مفكري الإسلام الإصلاحي . وقد برز نقده الشديد لنزعات الاستغلال والأنانية لدى طبقات الثروة، واتخذه مدافعاً عن الفئات الشعبية والمدافعة عن قضايا الفقراء والمحتاجين.

في افتتاحية العدد الأول من «ذو الفقار» وجّه نقداً لاذعاً للأغنياء الذين يتعاملون مع الناس كوسائل لتحقيق مصالحهم لا كغايات لخدمة المجتمع، فقال إن الصحيفة «تبارز الأغنياء المقصرين الذين يريدون أن يجعلوا مخلوقات الله وآلات يستجلبون بها منافع لهم».[2]

وقد ربط راسم بين الاشتراكية ومفهوم العدالة الاجتماعية، فاعتبر أن مطلبها هو إنصاف المحرومين وتحريرهم من نير الظلم، وهي رؤية متجذرة في الواقع الجزائري تحت الاستعمار

---

[1] توفيق مزاري، المرجع السابق، ص ص 104-105.

[2] نفسه.

وتهدف إلى تنمية الوعي الاجتماعي والإصلاح الاقتصادي، وليست تعبيراً عن الالتزام بالأيديولوجيا الشيوعية .[1]

وقد ربط راسم بين الاشتراكية ومفهوم العدالة الاجتماعية، فاعتبر أن مطلبها هو إنصاف المحرومين وتحريرهم من نير الظلم، وهي رؤية متجذرة في الواقع الجزائري تحت الاستعمار وتهدف إلى تنمية الوعي الاجتماعي والإصلاح الاقتصادي، وليست تعبيراً عن الالتزام بالأيديولوجيا الشيوعية.[2]

واستعان بمصطلح «مذهب الاشتراك» المتأثر بمبادئٍ أوروبية (ألمانيا) بوصفه إطاراً يقلل الفوارق الطبقية ويقوِّض جشع الأغنياء، ويحول ثرواتهم إلى آليات تكافل اجتماعي وتضامن وطني لنهضة الجزائر. لقد قرأ راسم هذا الخيار في سياق منهجه الإصلاحي المقاوم للاستعمار، إذ ربط الإصلاح الاجتماعي بالنهضة القومية والوحدة النضالية.

في مقال بعنوان «التعاون! التعاون!» ناشد الأغنياء بالتحلي بالعمل الصالح والإنفاق والتعاطف مع الأمة، محذراً أن بقاءهم على الأنانية يشوّه صورتهم الدينية والإنسانية، ومؤكداً أن عليهم أن يساهموا في نهضة الأمة وإلا فليس لهم في الدين شرف.

[1] عمر راسم، جريدة ذو الفقار، مقال «التعاون! التعاون!»، 1913.

[2] المرجع السابق.

الفصل الثاني:

عمر بن قدور الكلمة الاصلاحية وسلاح الصحافة الوطنية

الفصل الثاني: عمر بن قدور الكلمة الاصلاحية وسلاح الصحافة الوطنية

1 المبحث الاول: التعريف بعمر بن قدور

يتناول هذا المبحث المسيرة الحافلة للكاتب والمصلح عمر بن قدور، مستعرضاً الجوانب الذاتية والموضوعية التي شكّلت شخصيته النضالية. يبدأ البحث في المطلب الأول بتتبع نشأته وسنوات تكوينه، ثم ينتقل في المطلب الثاني إلى تحليل البيئة الاجتماعية والفكرية التي نشأ فيها وكيف أثرت التحوّلات السياسية والثقافية في الجزائر مطلع القرن العشرين على توجهاته. في المطلب الثالث يُبرز دورَه المحوري في الإصلاح التربوي والاجتماعي، وكيف مزج قناعاته الفكرية مع نشاطه الميداني للنهوض بالمجتمع ومحاربة الجهل والآفات الاجتماعية.

1.1المطلب الأول: نشأته وحياته

عمر بن قدور (1305هـ / 1886مـ — 1351هـ / 1932م) هو صحفي وكاتب وشاعر جزائري من روّاد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر. وُلد في مدينة الجزائر العاصمة في فترة حكم لويس تيرمانلوistirman،وهي مرحلة اعتُبرت مفصلية في تاريخ الجزائر المعاصر.

تشير دراسة أبو القاسم سعد الله إلى غموض في أصل أسرة عمر بن قدور وحالتها الاقتصادية والعلمية، إذ لا يكشف اسم "ابن قدور" بصورة قاطعة عن أصل الأسرة (). تلقى ابن قدور تعليمه الأولي في الكتاب بالعاصمة، ثم التحق بالمدرسة الثعالبية، وإنْ لم يلبث فيها طويلاً بعد تعديل برامجها سنة 1895م التي جعلت التعليم فيها مزدوج اللغة، مسعىً لإعداد فئة مطلعة على التراث العربي الإسلامي والثقافة الفرنسية معاً. من المؤكد أنه درس على يد الشيخ

عبد القادر المحاوي بعد نقله من قسنطينة، كما تتلمذ على يد الشيخ عبد الحليم بن سماية [1].

أكمل ابن قدور دراسته في عدد من مراكز العلم، فدرس في جامع الزيتونة بتونس، ثم واصل بعض خطواته العلمية في مصر وإسطنبول، قبل أن يعود إلى الجزائر عام 1908م. جاءت عودته في سياق انطلاق عهد النهضة الصحفية والثقافية التي شهدتها الجزائر في زمن الحاكم العام شارل جونار، وقد عاش ابن قدور أحداثاً إقليمية ودولية هامة أثّرت في تطور فكره ونشاطه. لم تخلُ تجربته من ممارسات القمع؛ فقد نُفي إلى مدينة الأغواط قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، ونُقل مكبلاً إلى هناك، ثم أُطلق سراحه عام 1918م فعاد لمزاولة نشاطه الصحفي قبل أن ينقطع لاحقاً ويخوض تجربة عزلٍ صوفية. استمر الشيخ عمر بن قدور طوال حياته في ميدان الإصلاح والنهضة ومناهضة الصهيونية والاستعمار حتى وافته المنية في سنٍ لا تتجاوز السادسة والأربعين سنة 1932م، في عهد دعاة الإصلاح أمثال الأمير خالد وعبد الحميد بن باديس .

1.2 المطلب الثاني: البيئة الاجتماعية والفكرية لعمر بن قدور الجزائري

لا يمكن قراءة طبيعة الفكر الإصلاحي لدى عمر بن قدور وأبعاد القضايا التي عالجها في مقالاته الصحفية بمعزل عن الظروف الاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها. تمتد حياة ابن قدور من 1886 (سنة الميلاد بالجزائر) إلى 1932 (سنة الوفاة)، وهي حقبة تاريخية مهمة في التاريخ المعاصر للبلاد تميزت باستمرار المقاومة بأشكالها المختلفة، وبنوع من الانتقال

[1] عبد الحليم بن سماية: هو عبد الحليم بن علي عبد الرحمان بن حسن عوجة، ولد في قلب حي عبد الرحمان التعالي بالجزائر العاصمة في 15 جويلية1866 م، ويتحدر من عائلة حسن عوجة القادمة من منطقة أزمير بتركيا الحالية للمزيد. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، المرجع السابق، ص 8 .

إلى العمل الفكري والقلمي للحركة الوطنية، وظهور تيارات الإصلاح الديني والثقافي (تعبير مفدي زكرياء) .[1]

وعلى الصعيد الخارجي شهد العالم الإسلامي تحولات سياسية وفكرية بارزة أثّرت في تكوينات النخب الإصلاحية، من بينها تراجع الدولة العثمانية، تصاعد النزعات القومية العربية في المشرق، وازدهار تيارات الإصلاح الديني والتربوي بقيادة أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ طاهر الجزائري، وهي تيارات تفاعلت مع التجربة الجزائرية وشكلت مناخاً فكرياً له أثر في توجيهات ابن قدور .[2]

ومن خلال استعراض المحطات الحية لمساره الفكري والصحفي يتبيّن أن قضايا الساحة الإصلاحية الإسلامية كانت حاضرة بقوة في فكره وكتاباته. فقد نشأ في بيئة جزائرية متميزة بتلاقي التربية الدينية والتأثيرات العصرية؛ إذ أتاحت له ولادته بالجزائر العاصمة (1886) تلقّي تربية مسجدية وشرعية مترافقة مع التجربة التعليمية الحديثة في مؤسسات مثل المدرسة الثعالبية. وتشير المصادر إلى أن لتنشئته الأسرية أثراً بالغاً في تكوينه؛ فقد وصف رعاية والدته لها دوراً محورياً في تشكيل ذاته الروحية والأخلاقية، مع تأكيده على تَأثّره بتقوياتها الروحية والتربوية .[3]

وكان لأبوه أيضاً أثر تربوي عملي؛ فقد رافقه إلى الصلاة وعوّده على الطقوس الدينية وحثّه على حضور دروس الجمعة في جامع «سيدي رمضان»، حيث كان منبر الشيخ محمد السعيد بن زكري (1850–1914) منبراً مؤثراً في التكوين الديني لدى ابن قدور. وحسبما

---

[1] أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 1995، ص 434.

[2] المرجع نفسه.

[3] أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 1995، ص 434.

روى بنفسه، فقد التحق بدروس بن زكري خصوصاً في ليالي رمضان، وتأثر بأسلوبه العلمي والوعظي .[1]

لقد تركت التربية المسجدية أثرها العميق في تكوينه العقائدي والفكري، ولا غرابة أن تتبلور علاقات لاحقة مع رموز الإصلاح؛ إذ التقى ابن قدور الشيخ بن زكري بعد أن أصبح صحافياً بارزاً، وكانت تلك اللقاءات مصدر تشجيع ودعم لعمله الصحفي، حتى وصف اللقاءات بأنها «فتحت قلبه وباركت عمله» واعتبر بن زكري منارات إرشاد فقدتها الجزائر في زمن الحاجة .[2]

تدل هذه المعطيات على أن المشهد الفكري الجزائري لم يكن خالياً من روّاد الإصلاح الذين أثروا في جيل لاحق من الإصلاحيين مثل عبد الحميد بن باديس وعمر بن قدور نفسه. ويبدو تواصلاً بين جيلين من الإصلاح: جيل الرواد المؤسسين وجيل التلاميذ المنفذ للمشاريع الإصلاحية. ومن هذا المنطلق اعتبر ابن قدور عبد القادر المجاوي أستاذاً ومؤثراً في تكوينه الفكري، إذ كان المجاوي إماماً وخطيباً ومعلماً في الثعالبية وملقّناً لبلاغته الأدبية، فحضر مجالسه العلمية وامتدت علاقتهما إلى حد حنينه ومرثيته له عند وفاته .[3]

ويعتبر نفسه تلميذًا لما سماه «أستاذ الجماعة» عبد القادر المجاوي ويعزو له جزءًا كبيرًا من ما بلغه في ميادين الكتابة والصحافة. ويعبر في رثائه عن امتنان عميق لمعلمه قائلاً: «فنم هنيئًا مطمئنًا في روضة الفردوس، يبكي عليك ضميري وجوارحي... لأن هذا القلم، ما دام يتحرك في بناني، فهو من حسنات تعليمك وإرشادك وخدمتك للغة والبلاغة».[4]

---

[1] أبو عمران الشيخ المرجع السابق، ص435.

[2] جامع سيدي رمضان: الواقع في القصبة بمدينة الجزائر.

[3] عمر بن قدور، جريدة الفاروق، العدد 57، أفريل 1914.

[4] عمر بن قدور، المرجع نفسه.

أفضت نشأة ابن قدور في الجزائر العاصمة إلى تواصله المباشر مع نخبة إصلاحية وفكرية كانت تمارس دورًا بارزًا في الساحة الثقافية المضطربة تحت الاستعمار. وقد تَظهَر في كتاباته انغماسه العميق بالقرآن الكريم، إذ امتزجت عباراته التحريرية بتعابير مستمدة من هذا المصدر، مما يوحي بأنه تلقّى حفظه وتعليمه في كتاتيب أو مدارس قرآنية أواخر القرن التاسع عشر. كما تشير ترجماته من الفرنسية إلى العربية إلى تمكن لغوي اكتسبه جزئيًا عبر دراسته بالمدرسة الثعالبية، وحيث كان أحد أساتذها الإمام المصلح عبد القادر المجاوي .[1]

أكسبه الجو الأسري الذي نشأ فيه حيث أولى والداه اهتمامًا بالغًا بتربيته الدينية إحساسًا مرهفًا وذهنًا متقدًا، انعكسا في وعيه الحاد تجاه معاناة الشعب الجزائري؛ فقد كان يتألم للمشاهد الاجتماعية والأخلاقية المؤلمة، ويسعى ناقدًا ومفكرًا لإيجاد سبل إصلاحها. يصف ذلك بقوله إنه كان يتألم لما يرى من «جيوش الفوضى الأخلاقية» التي كانت تمر أمامه، ورسمت لديه رؤية عن الخطر المحدق بسعادة الشعب الجزائري والذي جعلهم عرضة للإهانة والذل .[2]

وتتجلى حساسيته تجاه مصير أبناء الشعب في كتاباته، مثل مقاله «أبناء الشعب أمام المستقبل» حيث يندد بسلبية وتراخي الجماهير تجاه مستقبلهم، ويصف رؤية مستقبل أطفال الأمة بأنها مروعة، ما يعكس قلقه العميق على الأجيال القادمة .[3]

وقد بدا اهتمامه بالقضايا السياسية والاجتماعية واضحًا في مقالاته المبكرة التي تناولت فكرة المقاومة والاستراتيجية السياسية تحت الاحتلال، إذ رأى أن من الضروري تبني أساليب سياسية

[1] عبد القادر المجاوي (1848-1914).

[2] جريدة الفاروق، العدد 64، 08 يونيو 1914.

[3] جريدة الأخبار، العدد 13746، 21 ديسمبر 1913.

فاعلة ترافقها أساليب أخرى منبّهة ورافدة لها، لأن تراكم المسائل والأساليب السياسية قد يؤدي إلى إرباك الجماهير وتأثير سلبي عليهم .[1]

رغم انخراطه العميق في قضايا أمته لم تكن الحياة المادية هدفه، إذ شرع منذ بدايات شبابه (قبل سنّ العشرين) في الكتابة الصحفية العميقة التي بحثت أمراض المجتمع من زوايا دينية واجتماعية وسياسية. كان يؤمن بأن الاختلاط بكافة طبقات المجتمع ومعايشة الناس ضروريان لعملية التفكير الإصلاحي، رغم أنه اعترف بميوله لبعض الانعزال عن الناس؛ لكنه مع ذلك كان يحسن الظنَّ بهم ويظهر عطفًا على الفقراء مع إلقاء لومه على الآباء غير المهتمين بتعليم أولادهم .[2]

مع تقدّم تجربته وتعمق ممارسته العملية «مدرسة التجربة» كما وصفها، بدأ يدرك أن بعض العلماء والمشاهير الذين كان يجله قد يكونون في حرمان الأمة من الإصلاح، وهو إدراك دفعه إلى نقد تلك الطبقات التي أضرت بالأمة رغم مكانتها المرموقة.

شكلت سنة 1914 مرحلة مفصلية في حياته: فقد فقد والدته وبعض أساتذته الكبار، من بينهم محمد السعيد بن زكري والمجاوي، كما فقد ابنته حديثة الولادة في يناير من تلك السنة. وقد تناول حادثتي الفقدِ هاتين في كتابة مؤثرة بعنوان «فقيدتي الصغيرة»، عبّر فيها عن المزاوجة بين الفرح لنجاة زوجته والحزن العميق على فقدان طفلتهم، ومنطلقًا من تلك التجربة قدّم لاحقًا رؤى إصلاحية خاصة بتربية البنات في المجتمع الجزائري. واعتبر أن هذه المصائب عزّزت لسانه الثلاثي: ديني، وجداني، ووطني، في مواصلة نشاطه الإصلاحي.[3]

---

[1] جريدة الأخبار، 30 أكتوبر 1910 / 26 شوال 1328 هـ.

[2] عمر بن قدور، «فقيدتي الصغيرة»، جريدة الفاروق ، 1914.

[3] عمر بن قدور، «فقيدتي الصغيرة»، جريدة الفاروق ، 1914.

2المبحث الثاني:نشاط عمر بن قدور في الصحافة

يستعرض هذا المبحث الوجه النضالي لعمر بن قدور عبر نشاطه الصحفي وممارساته التنويرية الأخرى، باعتبارها الأدوات الأكثر فاعلية لمواجهة التحديات الحضارية في أوائل القرن العشرين. يتناول المطلب الأول مساهماته في ميادين التعليم والتأليف والصحافة لإبراز التكامل بين هذه المجالات في تشكيل خطابه الإصلاحي؛ والمطلب الثاني يبيّن إسهاماته في الإصلاح التربوي والاجتماعي، أما المطلب الثالث فيقيس أثره في الحركة الإصلاحية الجزائرية وإرثه الفكري.

2.1المطلب الأول:نشاط عمر بن قدور في ميدان التعليم والتأليف والعمل الصحفي

لقد ساهم عمر بن قدور في المحافظة على الهوية الجزائرية وحارب التشويه الفرنسي في الجزائر عن طريق التعليم والتأليف والصحافة:

2.1.1التعليم والتأليف:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:

من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» رواه مسلم.[1]

اعتبر عمر بن قدور طلب العلم وسيلةً أساسيةً للنهوض بالأمة والمحافظة على هويتها، مستنداً إلى مرجعيات دينية تقرّ بفضل العالم ومكانته،وقد لعب فهم العلماء لهذا الحديث دوراً محركاً

[1] خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج 3، دار كردادة، ط2، الجزائر، 2013 م، ص 82

في سلوكيات العلماء الإصلاحيين الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم ونشر النهضة الثقافية، فتنقّلوا طالبين للعلم ومتغرمين بأعباء ذلك في سبيل مصلحة الأمة لا المصلحة الذاتية [1]

في هذا السياق، امتدت جهود ابن قدور إلى ميادين التعليم والتأليف والصحافة كآليات متكاملة لرفع مستوى الوعي ومواجهة سياسات التغريب الفرنسي. فقد وظّف قلمه الصحفي للتنديد بالممارسات التي تستهدف مقومات الشخصية العربية الإسلامية في الجزائر، وللفت أنظار المسلمين إلى قضايا مركزية كالتجنيس والفرنسة والسياقات التي تهدد الهوية الوطنية والثقافية.[2]

كما استغل الشعر وسيلةً تعبّيرية فعّالة، فأنشده قضايا وطنية واجتماعية، مسلّطاً الضوء على مسؤولية العلماء في يقظة الشعوب وتحملهم جزءاً من تبعات الانحطاط الديني والاجتماعي.[3] وذلك عبر أشعار تحمل رسائل إصلاحية ووطنية .

2.1.2في مجال التعليم:

تولى عمر بن قدور إدارة مدرسة «الشبيبة الإسلامية»، التي برزت كأحد أهم مؤسسات التعليم العربي الحر في الجزائر آنذاك، إذ ارتبطت أهميتها بنتائجها التربوية ودورها الفعّال في الحياة الثقافية والتعليمية الوطنية. مثّلت المدرسة فضاءً لتنشئة جيل متقن للغة العربية ومؤسسٍ للقيم الإسلامية الوطنية، كما عملت على تهيئة بيئة تعليمية مقاومة لسياسات التغريب الثقافي. وبعد فترة إدارية مضيئة استقال ابن قدور من منصبه، فأسس مدرسة قرآنية بنظام عصري

[1] عبد النور حيثر وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830 1954م)، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007 م، ص 104.

[2] خير الدين شترة، المرجع السابق، ج 3، ص 474.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجعالسابق، ج 8، ص 1256.

استهدف من خلالها دمج المناهج القرآنية مع أساليب تنظيمية وتربوية معاصرة، وهو ما يعكس سعيه للمواءمة بين الأصالة والحداثة في المنظومة التعليمية الوطنية. خلفه في إدارة مدرسة الشبيبة الإسلامية الشاعر محمد العيد آل خليفة، مما يدل على استمرارية المشروع التربوي الذي انطلقه ابن قدور وإرثه الاعتباري بين الأوساط الثقافية والتعليمية.

2.1.3في ميدان التأليف:

يمثل التأليف جانباً جوهرياً من إرث عمر بن قدور الفكري؛ إذ خلّف عدداً كبيراً من المقالات الصحفية التي شكلت رافداً أساسياً في نشر الوعي الوطني والدعوة الإصلاحية بين الجزائريين. إلى جانب إنتاجه الصحفي ذي الطابع التربوي والسياسي، له مؤلفات تنتمي إلى الحقل الروحي والتصوف، من أبرزها كتاب منسوب إليه بعنوان "الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة"، الذي يعكس انخراطه في التجربة الروحية للطريقة التيجانية بعد ارتباطه بالمقدّم محمد بن النواتي الأغواطي، والذي دافع عنه وبيّن مقاصده الروحية والتربوية [1]

كما تبوّأ الشعر عند ابن قدور مكانة وظيفية في خطابٍ يجمع بين الوجدان والوطنيّة، فجعل من قصائده وسيلةً لنقد الواقع والتعبير عن مواجع الأمة. ومن قصائده المعبرة تلك «يا شرق» التي عكس فيها قلقه على حال أمته من مغريات الاستعمار وسياساته الثقافية، فترد فيها أبيات تندد بتيه العقل وتغرير الغرب، منها:

يا شرق ما لعقول قومك لا تعي نصحا من الماضي إلى المستقبل

صالت عليك مطامع الغرب الذي أرضعته لبن الترقي الأكمل .

تعكس هذه النصوص الشعرية وظيفة مزدوجة: بلاغية وجدانية تحثّ على الاستيقاظ، وسياسية إصلاحية تدعو إلى استعادة الوعي الجماعي والهُوية.

2.1.4المساهمة الصحفية

[1] أبو القاسم سعد الله، ج 5، المرجع السابق، ص ص 280-281.

تُجمع أغلب الدراسات التاريخية والإعلامية حول أن ميلاد الصحافة المكتوبة في الجزائر ارتبط بفترة ما بعد الاحتلال الفرنسي عام 1830م، إذ كان قبل ذلك المشهد الإعلامي غائباً أو مقتصراً على منابر استعمارية. ومع اتساع نفوذ الصحافة الكولونيالية وتحزّبها لصالح السلطة الفرنسية، أدرك المثقفون الجزائريون مبكراً أن الصحافة قد تصبح وسيلة فعالة لعرض مشكلات المجتمع، والمطالبة بالحقوق، ومواجهة سياسات التغريب الثقافي التي انطلقت منذ بداية الاحتلال.[1]

في هذا الإطار بادر عدد من الصحفيين الجزائريين نهاية القرن التاسع عشر بإصدار صحف وطنية تُعنى بنشر الوعي والدفاع عن الهوية، وكان عمر بن قدور من أبرز هذه الأسماء. استفاد بن قدور من تجربته بالقاهرة حيث التحق بأسرة جريدة "اللواء" المصرية.[2]

فتعرّف هناك إلى منابر الصحافة العربية وروّادها، وبناءً على تلك التجربة كوّن علاقات فكرية ومهنية وساهم في صِياغة خطاب صحفي وطني متأثر بالحراك العربي عامّة .[3] عاد إلى الجزائر عام 1908 م مصمماً على إحداث نهضة ثقافية وإسلامية، فقبل عرض مدير جريدة "الأخبار" فكتور باروكاند بتولي رئاسة تحرير القسم العربي، فكان ذلك دخوله الفعلي إلى الساحة الصحفية الجزائرية. في مقاله الأول (عدد 13520، 5 أبريل 1908م) أعلن بوضوح عن طموحه الإصلاحي، ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح منبرا يُسمع من خلاله صوت الوطنية. ويُعزى إليه في هذه المرحلة أنه أول من استعمل مصطلح "الوطنية"

---

[1] سعد الله، المرجعالسابق، ج 5، ص 284 .

[2] مصطفيكمال (1884–1908م) يمثل طورا من أطوار الصحافة العربية في مصر كتب في عدة صحف وطنية مصرية كجريدة الأهرام والمؤيد، أسس جريدته الخاصة اللواء سنة 1900 م لسان الحزب الوطني للمزيد ينظر – عبده إبراهيم، أعلام الصحافة العربية، مكتبة الآداب، مصر، ط2، 1999م، ص138.

[3] زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012م، ص 73–74.

على صفحات الجرائد الصادرة في ظل الإدارة الاستعمارية، إذ دعا في مقالاته إلى الدفاع عن حقوق الأمة الجزائرية واعتبار الوطنية مبدأً أساسياً للعمل الصحفي والسياسي .[1]

أدّت مواقفه ومقالاته إلى جذب جمهور واسع، فصارت جريدة "الأخبار" منبرا يحمل نزعة وطنية متزايدة بفعل كتابات بن قدور، ثم مضى إلى إصدار صحيفته الخاصة "الفاروق" التي وصفها بأنه أطلقها لملء فراغ جريدة إسلامية حقيقية في العاصمة؛ فقد جاءت افتتاحية "**الفاروق**" معلنةً مهمتها التربوية والدينية والوطنية، ومعلنة شعار مالا يقل عن:

قلمي لسان ثلاثة بفؤادي ديني ووجداني وحب بلادي [2]

تجمّع حول "الفاروق" كتاب جزائريون وتونسيون ممن حملوا رسائل الإصلاح؛ من هؤلاء كتب أحمد توفيق المدني للصحيفة عام 1914م مقالة عن تعليم القرآن. لكن نشاطه الصحفي أثار حفيظة الإدارة الفرنسية، فتعرضت "الفاروق" للحظر ونُفي بن قدور إلى الأغواط حيث ظل تحت المراقبة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. بعد الحرب أعاد بن قدور بعث "الفاروق" في صورة مجلة أسبوعية عام 1924م، وإن عدّل لاحقاً عن مواصلة إصدارها بالنسق السابق.

علاوة على ذلك، شارك بن قدور في مشاريع صحفية أخرى؛ إذ أصدر برفقة محمد بكبير الميزاني جريدة "الصديق" في 12 أغسطس 1920م، وترأس تحريرها حتى العدد السابع قبل أن يتولاها لاحقاً المولود الأزهري الذي واصل نشر الأفكار الإصلاحية فيها .[3]

خلاصة القول: رسّخت مساهمة عمر بن قدور الصحفية ارتباط الصحافة العربية في الجزائر بالهوية الوطنية والمشروع الإصلاحي؛ فقد وظّف المنابر الصحفية لنشر الوعي الديني والثقافي ومناهضة سياسات التغريب، وساهمت صحفه ومقالاته في خلق فضاء عام وطني ما زال

---

[1] شارل روبير أخيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة همال فاطمي، مج 2، دار الأمة، الجزائر، 2008م، ص 293.

[2] على مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص.40.

[3] عبد القادر كرليل، نشأة الصحافة الجزائرية، مجلة المصادر، ع 11، الجزائر، 2005م، ص 2229.

يُنسب إليه جزء معتبر من انتعاش الفكر العربي–الإسلامي في الجزائر في مطلع القرن العشرين.

2المطلب الثاني:دوره في الإصلاح التربويوالاجتماعي:

2.2دوره في الإصلاح التربوي

2.2.1الدعوة إلى التعلم:

اعتبر عمر بن قدور التعليم محور النهضة الوطنية والوسيلة الأساسية لإنقاذ الأمة من حالة التردي الثقافي والاجتماعي التي فرضتها سياسة الاستعمار.

صاغ موقفه التربوي بلغةٍ تجمع بين الحكمة الدينية والوعي السياسي؛ فالتعليم عنده ليس مجرد اكتساب معارف تقنية بل هو حياة الشعوب ودواء لإحياء القلوب وإنقاذ الأمة من سباتها الثقافي والاجتماعي[1] ، وهو «الدواء الناجع لإحياء موات القلوب وإنقاذ الأمة من رقدتها»[2] ،وبيّن هذا المعنى في مقالاته التي كرّرت الاستشهاد بقيمة العلم كقوة منبهة تُحرّك الوجدان والضمير العام، مشبهاً تأثير العلوم بتأثير التيار الكهربائي في تشغيل الآلات وتحريكها،قائلا: «... فكذلك عوامل العلوم مع اختلاف طبائع البشر تنبه وتدير وتحرك مداركهم الروحية فتلهب منهم مشاعر اليقظة...».[3]

وعلى هذا الأساس اعترض بن قدور بقوة على سياسات الاستعمار التي سعت إلى إضعاف التعليم عند الجزائريين. فعندما رُفع عام 1908 مقترح يقضي بإلغاء إجبارية التعليم الابتدائي بذريعة حماية المصالح الاستعمارية، ندد بن قدور بهذه الخطوة واعتبرها محاولةً لإبقاء الجزائريين في حالة جهل تسهّل استغلالهم واستنزاف ثرواتهم. كما أثنى على موقف بعض

---

[1] بن قدور، «التعليم والاقتصاد»، جريدة الصديق، ع2، 15 أوت 1920م.

[2] المصدر نفسه.

[3] بن قدور، «الاسترشاد بالعلم والاستقال»، جريدة وادي ميزاب، ع39، 15 أوت 1927م.

الأصوات المستنيرة (منها فكتور باروكاند) التي وقفت ضد قرار المؤتمر وضد الجهات الداعمة له [1] .

وقد وجه نداءً مباشرًا إلى العلماء والمثقفين بضرورة إعطاء الأولوية للتعليم والتهذيب على الانشغال بالمشروعات السياسية الآنية التي قد تقود ـ في رأيه ـ إلى مستقبلٍ ضبابي، لأن بناء الوعي الجاد هو الأساس الذي يهيئ الأمة لمواجهة التحديات السياسية لاحقاً[2]

واعتبر التعليم «السلاح» الذي يمكّن الأجيال من معرفة حقوقها وواجباتها ومواجهة الظلم الاستعماري، فكتب أن إعطاء الأولاد هذا السلاح يضمن لهم وجودهم وسعادتهم [3] . كما رأى أن إهمال تعليم الأطفال مصيبةٌ تصيب المجتمع بكاملِه، إذ يخلق أدوات ضعف مستمرة عبر الأجيال؛ لذلك وصف الشعب الذي لا يعتني بتعليم أولاده بأنه شعبٌ «غبي وجامد»، وأن تهذيب النشء وإنماء مداركه واجبٌ وطني وديني ، بما يجعل قضيّة التعليم عنده قضية حضارية ومصيرية لا تحتمل التسويف.[4]

اعتبر عمر بن قدور المجتمعَ الغافل عن التعليم بمثابة «مجتمعٍ ميت»؛ فأحياؤه يتحركون كالأجساد بلا روح، لا يختلفون عن الأنعام في غياب الوعي. وكان تصويره لحال الأطفال مستقبل الأمة ينضح بالقسوة الوجدانية: لو كانت الحياة راسخة في قلوب الناس لَتَزاحمت أفواج أطفالهم على منابع العلم، حاملين في صدورهم وشاح المعرفة، متزودين بالأدب والتوحيد والإيمان، وقادرين على العمل في ميادين الحياة بقوة وعزيمة .[5]

---

[1] بن قدور، «الجزائر الخضراء مراسلنا»، التقدم، ع29، 5 مارس 1908م.

[2] بن قدور، «خطواتنا إلى المستقبل»، الفاروق، ع6، 6 نوفمبر 1920م.

[3] بن قدور، «دان النهوض ولم يدن»، الفاروق، ع19، 4 جويلية 1913م.

[4] المصدر نفسه.

[5] بن قدور، «لينهض من القوم الأحياء»، الفاروق، ع46، 30 جانفي 1914م.

من منطلق إيمانه الحادّ بأولوية التعليم، يُنسب إلى بن قدور كأول المدافعين الصريحين عن وجوب إقرار إجبارية التعليم الابتدائي في الجزائر عام 1920م، وهو موقف يعكس إدراكه لخطر الأمية على مستقبل الأمة. كما دعا إلى إتاحة الفرص لمتابعة المراحل التعليمية العليا، ليس محلياً فحسب بل عبر بعثات علمية إلى مراكز العلم في الخارج؛ ذلك لأن الإرسالات العلمية تُعين الناشئة على التزود بالمعارف والاحتكاك بالشعوب الأخرى، وهذا ما يرى أنه يسهم في وعي حقيقي بحقيقة الاستعمار نتيجة تجربته الشخصية في تونس ومصر.[1]

بِنَظَرِ بن قدور، لا يكفي انتظار التغيير من الدولة وحدها؛ فنجاح المشروع التعليمي يتطلب تضافر جهود الطبقات المؤثرة في المجتمع. لذا دعا إلى تأسيس جمعيات واندماجاتٍ تضخّ مواردها في تشييد مدارس ابتدائية وكتاتيب قرآنية في كل جهة من القطر، مع تحميل نُخب الأمة مسؤولية الإنفاق على التربية ونشر التعليم »[2]

كان حفظ اللغة العربية محوراً أصلياً في برنامجه التربوي، إذ ربط بين العربية ولغة القرآن وبوابة فهم الدين، ورأى فيها ركيزة تشكيل الشخصية الجزائرية. ومع ذلك لم يكن عدائياً للغة الفرنسية، بل اعتبرها وسيلة تواصلٍ آنيّة بين الحاكم والمحكوم، وبرهن على اتقانه لها، ما مكّنه من التعامل مع مقتضيات الواقع الاستعماري بحس عملي [3].

دعا بن قدور إلى توفيقٍ منهجي بين التعليم الديني والأخلاقي والتعليم العلمي والمهني، لأن إعادة بناء الأمة لا تتم بمجرد الحفظ الديني أو المعرفة النظرية وحدها، بل عبر إنتاج **«طبقة عالمةعاملة»** تنير ضمير الأمة وتسيّر عجلة حياتها الاقتصادية والاجتماعية. يختصر ذلك في قوله: «تعليم الأطفال تعليماً دينياً وأخلاقياً وعلمياً وصناعياً، فإذا أُنشئت طبقة عاملة

---

[1] بن قدور، «نحو النهوض»، الفاروق، ع4، 29 أكتوبر 1920م.

[2] بن قدور، «التعليم والاقتصاد»، المصدر السابق.

[3] نفسه.

متنورة، بَدأت في الوعي والشعور بحكم الضرورة...». ومن دلائل اهتمامه بالتكوين المهني إعلانه في «الفاروق» لدعوة أولياء الأمور لإرسال أبنائهم إلى «مطبعة الفاروق» لتعلم مهنة الطباعة وصناعة الحرف.

استند بن قدور في نقده إلى ملاحظة تاريخية وعملية: تقدم الأوروبيين كان نتيجة استثمارهم المتواصل في العلوم والمؤسسات التعليمية، بينما تراجع المسلمين كان نتيجة لإهمال المعارف والجمود العلمي. ولخص ذلك بقوله إن الأوروبيين «يطلبون زيادَة العلم» بينما نحن «نستلذ مرارة الجهل»؛ ومن ثم هم سادة في أوطانهم وأوطاننا، ونحن عبيد في أوطاننا.[1]

2.2.2انتقاده للعلماء الرسميين:

لم يلْقِ عمر بن قدور مسؤولية تجهيل الجزائريين على القوى الاستعمارية وحدها، بل وجّه نقداً لاذعاً إلى شريحة من علماء الجزائر، وخصوصاً أولئك الرسميين المرتبطين بمؤسسات القمع أو الباحثين عن المناصب والمنافع. في نظره، كان الانحطاط العلمي وانتشار الجهل يعيدان سببهما بالدرجة الأولى إلى علماء متحجرين افتقروا إلى الضمير المهني والأخلاقي، الذين جعلوا المصلحة الشخصية وجمع الأموال والبحث عن الألقاب غاياتهم الرئيسة. لذلك رأى أن علوم هؤلاء لا تفيد الأمة مهما بلغت مراتبها العلمية، إذ يفقد العلمُ معناه حين يغيب عنه الإخلاص والعمل من أجل الصالح العام. وقد عبّر عن هذا النقد في قصائد ونصوص حادة موجهة إلى فئة علماءٍ اعتبرهم من أعاقوا الإصلاح.

مع ذلك، لم يُعمّم بن قدور الحكم على كل العلماء؛ فقد امتدح مرّاً أمثال المجاوي وبن زكري وأطفيش لوفائهم وعملهم الإصلاحي، معتبراً هؤلاء من نماذج الرواد الذين يستحقُّون التقدير والاقتداء. كما كرّس مكانةً استثنائية للأمير عبد القادر، واصفاً إياه بـ«**رجل الجزائر العظيم**»

[1] بن قدور، «الصغير والأصداع»، المشير، ع39، 06 أوت 1911م؛ وكذلك: الفاروق، ع08، 08 أفريل 1913م.

وبطل شمال إفريقيا، إذ أراد من خلال تذكير الأمة بهؤلاء الرموز دفع العلماء والمثقفين إلى استنهاض الهمم والالتزام بمسؤولياتهم الوطنية والدينية [1]

إلى جانب نقده للعلماء الراكدين، وجّه بن قدور مناشداتٍ اجتماعية إلى طبقة الأثرياء، داعياً إياهم إلى وقف التبذير والمساهمة في تمويل المدارس ونشر العلم. فقد رأى أن النخبة الميسورة مطالبة بتمويل جمعيات ومؤسسات تعليمية تُنقذ الأطفال من أسر الجهل، لأن إهمال التعليم يولّد آفات اجتماعية (سرقة، إدمان، تردٍ أخلاقي) ويعرّض المجتمع إلى مزيد من الانحطاط. وهو بذلك ربط بين مسؤولية النخب والتزامها المالي ومهمّة الإصلاح التربوي والاجتماعي[2]

.2.2بن قدور والإصلاح الاجتماعي

2.2.1محاربته للتغريب:

رغم دفاعه عن إتقان اللغة الفرنسية بوصفها وسيلة تواصل عملية مع الأجهزة الإدارية، انطلق خطاب بن قدور من تحفّظٍ عميقٍ تجاه تبنّي الجزائريين غير المدروس للحضارة الغربية أو إهمالهم للمرتكزات الإسلامية والعربية.

لذا استهجَن انتشار مظاهر أخلاقية دخيلة (كالخمر والزنا والانحلال في السلوك العام) واعتبرها نتاجاً لتأثر فئاتٍ «ساذجة» بالثقافة الغربية، وقد أطلق على هذه الفئات اسم «المتفرنجة» محذّراً من تأثيرها المدمر [3] ، فقد رآها خطراً على البنية الأخلاقية للمجتمع، لأن القيم الإسلامية في نظره تمثل الحصن الذي يقي الأمة من الانحلال الاجتماعي ومنحها الكرامة والشهامة.[4]

---

[1] بن قدور، «الصغير والأصداع»، المشير، ع39، 06 أوت 1911م؛ وكذلك: الفاروق، ع08، 08 أفريل 1913م.

[2] بن قدور، «ساعدوا على التعليم»، الفاروق، ع21، 11 جويلية 1913م.

[3] بن قدور، «راعوا الله في الأحاديق»، الفاروق، ع3، 14 مارس 1913م.

[4] بن قدور، «بكس القول قول الأفاكين»، المشير، ع21، 28 ماي 1911م.

وصف بن قدور المتفرنجة بعبارات حادة تصوّرهم كضحايا «**أخلاقٍ أجنبية**» تتسلّل وتتفشى، فتغيّر نمط اللباس والسلوك والحديث، وتُضفي ملامح استعمارية على بعض الطبقات الجزائرية. ورأى في تقليد الغرب تخلّياً عن الإسلام وخيانةً له، لأن المتفرنجةبحسبه صاروا، بفعل تقمصهم لعادات المستعمر، شركاء في مشروع التغيير الثقافي الذي يخدم مصالح الغزاة ويقوّض صمود الأمة.[1]

وفي نظره أن سبب انتشار هذه الأخلاق السيئة يعود إلى الثقافة الغربية التي أغرت «الساذجين من الجزائريين»[2]

الذين سماهم «بالمتفرنجين»، وعدهم خطرا على الملة والدين، وقال واصفا إياهم:

ضح لك الدهر وابتسم ما حينما داق ودقائق الكؤوس

شاركوا الأنثى بترقيع اللباس في جمال القد حتى في الكلام

قلدوا الغرب بخمر واختلاس يلفظون القول لا سلام.[3]

فهؤلاء – حسبه – ضحايا أصبحوا مقيدين بالثقافة الغربية لا يستطيعون إطلاق العنان لحرية أفكارهم، وبذلك تتمكن «الأخلاق الأجنبية في الوسط، وتأخذ جراثيمها السامة بالانتشار في كل صوب».

فقد كان شديد التأسف لحال هؤلاء المتنكرين للإسلام المتباهين بعادات أعدائهم،التي مقاتصفوا بها أصبحوا ناطقين باسمهم ومتعاونين معهم في «**ظلمهم وعتوهم**».[4]

---

[1] بن عدة، من رواد الحركة الوطنية الإصلاحية، ص 84.

[2] بن قدور، «بكس القول قول الأفاكين»، المصدر السابق.

[3] بن قدور، «الموشح الجزائري»، الفاروق، ع07، 11 أفريل 1913م.

[4] بن قدور، «كس القول قول الأفاكين»، المصدر السابق.

فابتعاد هؤلاء «المتفرنجين» عن تعاليم الإسلام وتقمصهم لعادات وتقليد غريبة عن مجتمعهم الجزائري وتعاونهم مع الإدارة الفرنسية كان سبب سخط بن قدور وثورته عليهم، وهذا ما وضحه في قوله: «... وعلى هذا المحور كنا ولا زلنا نكره وتحارب الجامدين من متبعي القديم من قومنا، والمغالين في التفرنج وإتباع الجديد إلى درجة الإلحاد، ونبغض المسلمين من حزب الاستعمار ونتبرأ من كل شيء يمس شرف الإسلام إننا مسلمون قلبا وقالبا...»[1] . فتصريحهذايبينلناأفكاربن قدور المعتدلة: فلا هو من أصحاب العمائم الجامدين الذين كانوا ينتظرون معجزة لتحسين أوضاعهم، ولا هو من «المغتربين» الذين وصفهم بالكفرة و«الملحدين»، لذلك كان يحثهم على التوبة والرجوع إلى مجد الإسلام، وفي ذلك يقول: «... قف أيها المتجاسر على تدنيس عرض ملة هي خير ما أخرج للناس إزاءها موقف للمتأفف الحزين الحقير...».[2]

ومثلما هاجم الثقافة الأوروبية فإنه كذلك كان يخشى من تسرب أفكار «حزب تركيا الفتاة»[3] لأن أفكار هذا الحزب لا تقل خطورة عن أفكار «المتفرنجين»، إذ كانوا متأثرين بالثقافة الغربية، ومتخذينها منهجا لحياتهم..[4]

2.2.2الدعوة إلى النهوض بالمرأة الجزائرية

شكلت قضية المرأة مكانة مركزية في نقاشات النخب الجزائرية المتباينة في مطلع القرن العشرين؛ فقد تناولتها كل من النخب «المفرنسة» و«المعربة» من زوايا مختلفة، سواء في مجال الحقوق الاجتماعية أو التربية والتعليم. ضمن هذا السياق برزت مواقف متباينة: فبينما دعا بعض المثقفين المفرنسة مثل إسماعيل حامت (من مناضلي الاتجاه النسوي) وشريف بن حبيلس وفرحات عباس إلى إيلاء المرأة عناية خاصة وفتح أبواب التعلم أمامها . معتبرين ذلك

---

[1] بن قدور، «كس القول قول الأفاكين»، المصدر نفسه.

[2] بن قدور،المصدر السابق.

[3] عربي، عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية الجزائرية، ص 49.

[4] بن قدور، «كس القول...»، المصدر السابق.

مدخلاً للنهوض الاجتماعي وصيانة صحة الأسرة وتربية النشء . اتخذت النخبة المعربة مواقف إصلاحية مماثلة قائمة على الثوابت الدينية والهوية الثقافية .[1]

يحتل عمر بن قدور موقعًا بارزًا بين الإصلاحيين الذين رأوا في تعليم المرأة شرطًا أساسيًا لتحصين المجتمع واستقراره. ففي مقالة مطوّلة عن آفة الجهل لدى المرأة المسلمة، انتقد بن قدور الاعتقاد السائد القائل بأن تعليم المرأة خروج عن الدين، واعتبر هذا التصور «خطيئة معرفية» تضرُّ بالدين وبمقومات الأمة. . ففي مقال مطول بعنوان «يجهل المرأة المسلمة نال الدين من كوارث البدع ما ناله»، ثار بن قدور على الاعتقاد السائد القائل: «بأن تعلم المرأة خروجا عن الدين»[2] ، يمكن استنتاج أن موقف بن قدور يجمع بين اعتبار تعليم المرأة حقًا وضرورة عملية: حق ديني واجتماعي لتمكينها من فهم دينها والحفاظ عليه، وضرورة عملية لوقاية الأسرة والمجتمع من آفات الجهل والبدع، وبناء قاعدة بشرية قادرة على المشاركة الفاعلة في نهضة الأمة. لقد اجتمعت عنده مرجعيات دينية ووطنية في الدعوة إلى تعليم البنات جنبًا إلى جنب مع البنين، وإلى إشراك النخب والمؤسسات في تنفيذ هذا المشروع الإصلاحي، ويقول موضحا ذلك: «.... لو قيض الله للمسلمين أن يدرسوا حقائق الأسباب التي منعتهم عن النهوض إلى تنمية حياتهم وحفظ حيزهم القومي من وراء الاضمحلال لعثروا بجهل المسلمة يقرض عروة الجامعة كالجرد، ويقطع ظهر الملة كالسيف...»[3]

على المستوى الاجتماعي والاقتصادي ربط بن قدور بين جهل المرأة وإضعاف الأسرة، مشيرًا إلى أن إنفاق المرأة على الكهنة والدجالين والبدع يؤدي إلى استنزاف موارد الأسرة وإفقاد الزوج قدرته على الوفاء بواجب النفقة والمساهمة في إقامة مرافقٍ تعليمية واجتماعية. ومن ثم اعتبر

---

[1] بن قدور، «كس القول...»، المصدر السابق

[2] ساحل، المرجع السابق، ص 128.

[3] حول تأثر الشباب الجزائري بحزب «تركيا الفتاة» انظر: Julien, Etudes Maghrébines, P.120؛ والظاهر عمري، «النخبة الفرنسة بين 1900-1940م...».

أن تعليم المرأة ليس شأنًا خاصًا بالمرأة وحدها بل استثمارًا مجتمعيًا له أثر مباشر في تعزيز التضامن والتكافل الوطني [1]

2.2.3الدعوة إلى التضامن والتكافل الاجتماعي:

ارتبطت لدى عمر بن قدور فكرة النهوض الوطني ارتباطًا وثيقًا بعنصريْن أساسين: العصبية الإيجابية (أي التعاضد والاعتزاز بالجماعة) والتعاون الاجتماعي. فقد رأى أن افتقاد العصبية الصحيحة يجعل الأمة «ذليلة بين جيرانها سريعة الاستكانة إلى الحكم الأجنبي»[2]وأن غياب التعاون يفسح المجال أمام القوى الخارجية لغرس قيمها وغزو الوعي المحلي، إذ «يصبح كل ما هو من جسم الأمة صغيراً لديها، وكل ما هو غريب عنها موقراً مرغوباً فيه»[3]

واستند في تصوراته إلى صورة مجسدة للمجتمع كجسمٍ واحدٍ أعضاؤه متضامنة: إذا اشتكى عضوٌ تألمت باقي الأعضاء، وإذا تكارفت الجماعات نما في الأمة هَمٌّ جماعي يدفعها نحو تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية وحفظ كيانها القومي. ولذلك كان يدعو إلى مشاعر تضامنٍ تمتدّ بين الناس كدافعٍ أخلاقي وعملي قائلاً إن التعاون بين الجماعات يولّد "همة عظيمة تتألف من همم الجماعات والأفراد" فتسرع نحو نيل المصلحة الوطنية »[4]

فبالتعاون والتكافل الاجتماعي يستطيع المجتمع أن يحقق نهضة سياسية واقتصادية، فلا نهضة بدون الاجتماع والتعارف والتعاون[5]وبهكذلكيستطيعأنيحفظكيان أمته ويجد له مكانا بين المجتمعات، وهذا ما عبر عنه بقوله: «... وإذا كانت الأمة تحتوي على جماعات متكافلة على نحو ما تقدم معنا، معتزة بالهمم العالية تنمو فيها على الأثر همة عظيمة تتألف من همم

---

[1] بن قدور، «المرأة»، الفاروق، ع38، 28 نوفمبر 1913م.

[2] الفاروق، ع1، 28 فيفري 1913م.

[3] بن قدور، «اعتبر المبر»، الأخبار، ع13646، 04 سبتمبر 1910م.

[4] بن قدور، «مراحل الأمم ومراحلنا»، الفاروق، ع21، 21 سبتمبر 1913م.

[5] بن قدور، «فضيلة الفضائل»، الفاروق، ع37، 21 نوفمبر 1913م.

الجماعات والأفراد... فتسرع نحو نيل المصلحة السياسية والاقتصادية وتحفظ كيان قوميتها...»[1]

والشريحة التي ركز عليها بن قدور في دعوته أكثر هي «العلماء» و«الأغنياء»، إذ دعا العلماء إلى ضرورة الائتلاف والتعاون بما يفيد الأمة «... ولتكن من المفكرين أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...»[2] ،وفينظربنقدورأن الفئة الأكثر لوما هي فئة العلماء والمفكرين لأنهم «أخفقوا في السعي في تذكير هذين الصنفين (يقصد الأغنياء والعلماء) إلى الواجب المفروض عليهم وهو الاجتماع والتعاون والتعارف»[3] مذكرا إياهم بما وصلت إليه أوروبا من تقدمٍ نتيجة أعمال المفكرين، فحسب تعبير بن قدور: «... مفكرو أوروبا هم الذين مهدوا مراحل أممهم بالتعاون وتأليف الجمعيات المقاومة الطوارئ المهلكة لأممهم ...»[4] .

كما يتساءل بن قدور عن الإنسان خاصة العالم «إذا كان هو المخلوق المكرم المنعوت بالصفات العالية والنعوت الرفيعة المزود بكمال العقل وصفاوة التفكير وحرية الضمير، ورقة الشعور فلماذا يخاذل نوعه ويناكر جمعه؟...».

وحسبه فإن المسلمين هم أولى الأمم بالتعاون فيما بينهم، حيث قال: «... وإذا كان المسلم هو ذلك المرء المتمسك بعروة شريعة الإسلام، القائمة بحمل الخلق على التعاون والتفاهم والتعارف، فعلام يخذل إخوانه ويناكر أقرانه؟»، وإذا كانت المناصب في الحياة مناصب شقاء وبلاء والمراحل مراحل عمل واجتهاد فعلام المسلمون يستكينون عن سبيل

---

[1] بن قدور، «لما التخاذل على ما التنافر على هذا التفاكرة»، الفاروق، ع44، 16 جانفي 1914م.

[2] بن قدور، «لما التخاذل على ما التنافر على هذا التفاكرة»، الفاروق، ع44، 16 جانفي 1914م.

[3] بن قدور، «إلى حضرات الأغنياء»، جريدة الطلال، ع05، 1 ديسمبر 1906م.

[4] مراد، الحركة الإصلاحية، المرجع السابق، صص 143-144.

التعاون والتفاهم والتعارف؟، أفلم تتلى عليهم آيات الذين خلوا وآياتهم؟، وآياتهم أوضح بيانا وأعظم دليلا ...»[1]

وإلى جانب التعاون الذي تفرضه معطيات المجتمع المنحط خاصة على العلماء، فإن الإصلاح والإرشاد فرض عين على كل مسلم، وعلى كل فرد من أفراد المجتمع أن يقوم بدوره «في نصح الخلق وإصلاح الضمائر، وتحسين المدارك وتثقيف العقول وإنفاض المضطجعين».[2]

أما الأغنياء فقد دعاهم إلى ضرورة المساهمة بأموالهم وإعانة المصلحين في مشروعهم الإصلاحي، حيث خاطبهم قائلا: «... يا حضرات الأغنياء أعينونا على هذا المشروع العزيز، واملؤوا قلوبنا عزما وثقة ... إلى متى يا حضرات الأغنياء تخفون وجوهكم ببرانس كلما طلبنا منكم إعانة في سبيل حب الوطن العزيز أعينوا إخوانكم (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا)».[3]

إلى جانب نقده للعلماء الراكدين، وجّه بن قدور مناشداتٍ اجتماعية إلى طبقة الأثرياء، داعياً إياهم إلى وقف التبذير و المساهمة في تمويل المدارس ونشر العلم .فقد رأى أن النخبة الميسورة مطالبة بتمويل جمعيات ومؤسسات تعليمية تُنقذ الأطفال من أسر الجهل،لأن إهمالا لتعليم يولّد آفات ا جتماعية(سرقة،إدمان،تردٍ أخلاقي)ويعرّض المجتمع إلى مزيد من الانحطاط .وهو بذلك ربط بين مسؤولية النخب والتزامها المالي ومهمّة الإصلاح التربوي والاجتماعي.[4]

2.2.4في سبيل النهوض الاقتصادي:

---

[1] نصر الجويني، «جمعية العلماء المسلمين بين الدين والسياسة»، المرجع السابق، ص 108.

[2] بن قدور، «حقيقة الإتحاد الإسلامي»، الأخبار، ع13651، 09 أكتوبر 1910م.

[3] بن قدور، «حديث الحوادث»، الفاروق، ع92، 25 ديسمبر 1914م.

[4] بن قدور، «بين جدران المعمرين»، التقدم، ع29، 5 مارس 1908م.

رغم ضآلة الكتابات الاقتصادية لدى عمر بن قدور مقارنةً بمقدار اهتمامه بالإصلاح التربوي والدعوي، إلا أن نصوصه تتضمن إشارات منهجية وواضحة إلى بُعد الاقتصاد كعنصر محوري في قوة الأمم وكرامة الشعوب. فقد عبّر عن قلقه من الحالة الاقتصادية المزرية التي يعانيها الجزائريون ودعاهم إلى النهوض في ميادين الإنتاج والتجارة والصناعة ليضاهوا مواطنيهم الأوروبيين في مستوى تملك الأملاك وإنشاء المعامل وتحقيق مظاهر الرفاه والازدهار [1] . ورأى بن قدور أن الأصل في تدهور الوضع الاقتصادي يعود إلى سياسات الاستعمار الفرنسية التي عملت على إضعاف المكونات الاقتصادية المحلية، فكلما امتد ظل المدينة الاستعمارية انحسرت مقومات القوة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري ، وأن طموحات الاستعمار وجشعهم في مصادرة موارد السكان ساهما في سلب أرزاق الجزائريين وإفقارهم[2] كنتيجة مباشرة لذلك، وصف حالة الأمة بأنها بلغت من الذل والفقر والجهل ما يجعلها «لا تعلو عن حالة البهائم السائمة، أو الحيوانات الداجنة».[3]

وعلى مستوى الحلول العملية دعا إلى إعطاء الأولوية لتكوين قوة اقتصادية محلية تقوم على «تجارة خاصة» وصناعات وطنية، لأن القوة الاقتصادية تُثمر شعور الانتماء القومي وتُعزز القدرة على مقارعة النفوذ الأجنبي؛ مستشهداً بتجارب أُمم أوروبية، وخصوصاً النمو الاقتصادي الألماني، كنموذج يُستفاد منه. كما ربط الازدهار الاقتصادي بتمويل المشاريع الخيرية والتعليمية، فرأى أن تأسيس شركات تجارية واتحادات تجار محلية يحمون التاجر الأهلي من ممارسات الوسطاء وأيدي الاستغلال الأجنبية، ويولدون موارد يمكن توجيهها إلى إقامة مدارس ومؤسسات اجتماعية.

---

[1] بن قدور، «ما هذا التحامل»، التقدم، ع25، 06 فيفري 1908م.

[2] بن قدور، «هل أفلح الجزائريون»، التقدم، ع25، 06 فيفري 1908م.

[3] بن قدور، «إن الاقتصاد هو القوة...»، المصدر السابق.

وبالتالي ذهب إلى أن الاقتصاد يشكل قوةً موازية للتعليم في تحقيق رقيّ المجتمع، وأن تكوّن الثروة على أساس اجتماعي وتعاوني (تشكيل شركات وتكتلات) أفضل بكثير من تفرق الأفراد، لأن المجتمع المتّحد يملك قدرة أكبر على التراكم الاقتصادي وتمويل المشاريع العامة التي تُعين على نهضة الأمة.

3 المطلب الثالث: تاثيره في الحركة الاصلاحية الجزائرية

يقوم المشروع الإصلاحي عند عمر بن قدور الجزائري على مجموعة من المرتكزات نوجزها فيما يلي:

3.1 مبدأ الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي: اعتبر عمر بن قدور الجزائري الإصلاح الديني والثقافي الطريقة المثلى لتوجيه الشعب الجزائري في المسار السليم ووقوفه في وجه الإيديولوجية الاستعمارية، ويكون ذلك انطلاقا من فكرة أن تغيير عقليات المجتمع قد يؤدي بالضرورة إلى تغيير محيطهم الاجتماعي. [1]

3.2 مبدأ دحض التناكر والدعوة إلى التعاون والتضامن: يظهر من خلال شعار جريدة الفاروق التي أنشأها المصلح عمر بن قدور الجزائري، إذ ركزت على محاربة كل مظاهر الشعوذة من بدع وخرافات تفشت في أوساط المجتمع الجزائري، والتي روجت لها بعض الطرق الصوفية المنحرفة، ودعت إلى التحلي بالخصال الحميدة والقيم السامية التي جاء بها الدين الإسلامي. كما وقفت في وجه دعاة الجمود والتحجر الذين يقفون سدا منيعا أمام كل تطور أو تقدم.[2]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 276.

[2] صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 9.

ويعتبر صالح خرفي أن تسمية الجريدة بالفاروق وإمضاء مقالاتها باسم «أبو حفص» دليل على عراقته في دينه وحبه واعتزازه بماضيه وتطلعه إلى تاريخ إسلامي مشرق كما كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صدر الإسلام. [1]

سعت جريدة الفاروق منذ نشأتها إلى محاربة التخلف والجمود الفكري الذي كان يتخبط فيه المجتمع الجزائري، والذي يعود سببه إلى بعض السلوكيات المنحرفة للطرق الصوفية التي سماها «القائمين على الدين الإسلامي»، حيث حملهم المسؤولية بقوله:[2] «... في وسط المزدحم يجورون مع الجائرين، ويحكمون مع الحاكمين، ويلعبون مع اللاعبين، ويمكرون مع الماكرين، ويغدرون مع الغادرين، ويدوسون ذلك العلم وذلك الدين وتلك المعارف التي حملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا». [3]

3.3 الدعوة إلى العلم والتعلم: اعتبر عمر بن قدور أن الجهل من أسباب انهيار الأمم، وأن حياة الشعوب الحقّة هي حياة العلم والتمدّن. لذلك جعل من التربية الأسرية والتعليم العام مسؤولية اجتماعية لا يمكن التهاون فيها، مؤكدًا أن إهمال الأولياء لتربية أبنائهم يُنبئ بمستقبل مظلم للأجيال القادمة، إذ «البنات والبنون كلهم عرضة لهذا الويل الشديد... لأنهم جاهلون أبناء جاهلين، وأشقياء خرجوا من أشقياء» . [4]

وانتقد بن قدور سياسة المستوطنين التي استهدفت تجهيل الجزائريين وعرقلة المبادرات التربوية، معتبراً أن المستوطنين رفضوا إنشاء تعليمٍ فعّالٍ لأبناء الجزائر لأنهم خشوا أن يقود التعليم

---

[1] مولود قرين، عمر بن قدور الجزائري دوره في الحركة الوطنية (1886-1932)، دار الخليل العلمية، الجزائر، ج1، ص 138.

[2] جريدة الفاروق، 19 ديسمبر 1913م.

[3] جريدة الحقيقة التونسية، 28 أوت 1907.

[4] الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1986م، ص 250.

السكان إلى المطالبة بحقوقهم الشرعية. ولهذا دعت رؤيته إلى تعبئة مجتمعية شاملة لتعميم التعليم كشرط مسبق للنهوض الوطني.[1]

على مستوى البُعد الوحدوي، نهج بن قدور موقفًا عمليًا يدعو إلى العمل الجماعي، إذ رأى أن المشروعات الفردية محكومة بالفشل، وأن العمل الوحدوي سواء على الصعيد المغاربي أو على مستوى الأمة الإسلامية هو طريق التحرّر من الاستعمار ومصدر القوة أمام الأعداء. ومن ثم كان من بين أوائل الدعاة إلى الوحدة المغاربية؛ ففي عام 1914 نادى بتأسيس «جماعة التعارف الإسلامي» لشمال إفريقيا، ودعا إلى تشبيك الصفحات الصحفية والجهود الفكرية بين أقطار المغرب العربي، كما شجع رواد الصحافة في البلاد الشقيقة على إصدار منابر نقدية تخدم الأمة والدفاع عن الوطن. [2]

استلهم مشروعه الإصلاحي من واقع الانحطاط الذي عانى منه المجتمع الجزائري تحت وطأة السياسات الاستعمارية، ومن الفكر الإصلاحي الإسلامي (أفكار الجامعة الإسلامية وآراء «المنار»)؛ وعكس ذلك تأثره بمناهج الزيتونة وتجربته في تونس ومصر وإسطنبول. وقد بدا في شعره ونصوصه مبادرة قومية–إسلامية تحث على اليقظة والعودة إلى مقومات الشخصية الوطنية والدينية كطريقٍ لإحياء الحضارة الإسلامية واستعادة مكانتها التاريخية.

3.5 أدوات ووسائل تنفيذ المشروع الإصلاحي

3.5.1الصحافة:

اتخذ عمر بن قدور من الصحافة الأداة المركزية لنشر مشروعه الإصلاحي ومنبراً لتأطير الرأي العام. شارك مبكراً في صحف عربية خارج الجزائر (اللواء المصرية، الحاضرة والتقدم

---

[1]خير الدين شترة، النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس (1900–1956م)، كتاب أعمال الملتقى الدولي حول عمر راسم، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص 136.

[2]محمد ناصر، تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 74.

التونسيتان، والحضارة العثمانية بإسطنبول)، ثم دخل الساحة الجزائرية بتولّيه رئاسة القسم العربي في جريدة «الأخبار» وأنشأ لاحقاً صحيفته الخاصة «الفاروق». تُعدّ «الفاروق» من أوائل الصحف الوطنية الجزائرية التي ارتقت إلى مصاف المنابر العربية المعتبرة، ولاحظت في توجّهها اهتمامًا تربويًا وإسلاميًا ووطنيًا صارخًا؛ فقد صرّحت افتتاحيتها بأنها «جريدة إسلامية بكل معاني الكلمة تبحث في شؤون المسلمين مع مراعاة الاعتدال» وأن من أهدافها «تنمية العقول وخدمة اللغة العربية والتعريف بالتاريخ الإسلامي» [1]

امتدّ طموح الصحيفة ليشمل بُعدًا وحدوياً إسلامياً، فدعت إلى مشروع «التعارف الإسلامي» كمبادرة لتأسيس جمعية إقليمية بالمغرب العربي تكون نواة لتقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية في المنطقة .[2]

إلى جانب ذلك استخدمت صفحات «الفاروق» لفضح البدع والخرافات ومحاربة مظاهر الجمود الديني التي رآها مضرّة بمقومات الدين والمجتمع، متأثرة في ذلك بأفكار الإصلاح الديني الحديثة مثل تلك التي حملها محمد عبده.

ومن هنا كانت تتوج صفحاتها بالبيت الشعري التالي:

«قلمي لسان ثلاثة بفؤادي *** ديني ووجداني وحب بلادي»**

3.5.2 الجمعيات والنوادي: رأى بن قدور في الجمعيات والنوادي آليات تطبيقية أساسية لتوسيع منظومة التربية ونشر الثقافة الوطنية. فبدل تشجيع جمعيات ثقافية لا طائل منها، ناشد بتأسيس جمعيات تعليمية إسلامية توجه مواردها إلى بناء مدارس وكتاتيب، فقال: «تعالوا مادمتم متحدين إلى تأسيس جمعية إسلامية تعليمية تنشر العلم في البلاد» .[3]

---

[1]سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج5، المرجع السابق، ص 279.

[2][2]سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج5، المرجع السابق ، ص 282.

[3]جريدة الفاروق، ع57، 20 أفريل 1914.

تجسّد هذا التوجّه في ممارسات ملموسة تمثلت في إدارته لمدرسة «الشبيبة الإسلامية» وتأسيسه لمدرسة قرآنية بنظام عصري، ما يعكس سعيه للمواءمة بين الأصالة الدينية ومتطلبات التنظيم التربوي الحديث.[1]

3.5.3 الخطاب المسجدي استند مشروعه الإصلاحي إلى تراث الخطاب المسجدي الذي تعلّم فيه قواعد الوعظ والبيان؛ فقد نشأ وهو يرافق والده إلى مسجد «سيدي رمضان»، واستثمر تلك الشرعية المسجدية في مخاطبة جمهور محافظٍ يعلّي من قيمة المرجعية الدينية. لذلك شكّل الخطاب المسجدي لبّ رسائله الإصلاحية، سواء في الدعوة إلى التعليم أو في التحذير من البدع والجمود.[2]

3.6 فعالية المشروع الإصلاحي وموقف السلطات الاستعمارية

أفضت وسائل بن قدور المتكاملة (صحافة، جمعيات، مدارس، خطاب مسجدٍ شرعي) إلى أثرٍ ملموس في وعي قطاعات من المجتمع الجزائري: تجلّى ذلك في تنامي النقاشات الوطنية، إحياء أسس التعليم العربيالإسلامي، ومقاومة الخرافة والتغريب الثقافي، كما انخرط حوله كتاب ومصلحون ممن ساندوا مشروعه الفكري والتربوي .[3]

إلا أن هذا المشروع اصطدم بقوة الأجهزة الاستعمارية. فقد تعرضت صحيفته «الفاروق» للتضييق فتعطلت إبان الحرب، ونُفي بن قدور إلى عين ماضي (الأغواط) عام 1915، ما بينّ حدود الفعل الإصلاحي في ظل رقابة واستبداد استعماريين حدّا من اتساع التجربة. [4]

---

[1] سعد الله، المرجع سابق، ج5، ص 279.

[2] المرجع نفسه.

[3] محمد ناصر، مرجع سابق، مج1، ص 74.

[4] المرجع نفسه، ص 75.

الفصل الثالث:

تجليات الخطاب الإصلاحي في كتابات عمر راسم وعمر بن قدور

– دراسة مقارنة

تمهيد:

يتناول هذا الفصل الخطاب الإصلاحي في كتابات عمر راسم وعمر بن قدور، مع التركيز على نقاط الالتقاء والاختلاف بين رؤيتيهما. يهدف التحليل إلى بيان كيف وظفا الصحافة كأداة لنشر الوعي والدفاع عن الهوية العربية–الإسلامية، وكيف شكّلا أسلوبًا صحفيًا ومضمونيًا صبّ في خدمة مشروعٍ إصلاحيّ يستهدف بناء مجتمع واعٍ قادرًا على مواجهة سياسات الاستعمار الفرنسي. والغاية من هذا الفصل إبراز الإسهام الفكري والثقافي لهذين الصحافيين الإصلاحيين في تكوين الوعي الوطني والمقاربة التربوية والسياسية اللازمة لمجابهة الطمس الثقافي.

3.1 المبحث الأول: نقاط الالتقاء في الخطاب الإصلاحي

نقاط الالتقاء في الخطاب الإصلاح يبحث هذا المبحث القواسم المشتركة بين عمر راسم وعمر بن قدور في أهدافهما الفكرية والإصلاحية، ويبرز كيف استثمرا الأدوات الفكرية والثقافية والصحفية لتقوية الهوية الوطنية وبناء وعي جماعي منتج. سنعرض أولاً وحدة أهدافهما الإصلاحية ثم ننتقل إلى تفصيل محاور النهضة الفكرية والتربوية.

3.1المطلب الأول: وحدة الأهداف الإصلاحية والفكرية:

وحدة الأهداف الإصلاحية والفكرية يركز هذا المطلب على الأهداف المشتركة بين راسم وبن قدور، لا سيما في اعتماد التعليم والتربية قاعدة لنهضة المجتمع، والسعي لرفع مستوى الثقافة العامة لتمكين المواطنين من فهم نقدي للأحداث، والتمسّك بالقيم الدينية والأخلاقية كأساس للإصلاح الفردي والاجتماعي. يبيّن المطلب أن الخطاب الإصلاحي لدى كلا المصلحين كان متكاملاً بين الفكر والتعليم والدين، ما مكّن من خلق وعٍ جماعي قادر على المشاركة الفاعلة في البناء الثقافي والاجتماعي.

3.1.1الفرع الأول: النهضة الفكرية والتربوية

3.1.1.1 نشر الوعي الاجتماعي والسياسي لمواجهة الاستعمار :عمر راسم حول الصحافة إلى أداة تربوية وبرنامجا عملياً لرفع الوعي السياسي والاجتماعي. لم يكتفِ بتقليد نقل الأخبار؛ بل وظّف الصحف والمجلات كمختبرات فكرية لعرض التحاليل والتقارير والمقالات التي تكشف آليات الهيمنة وتبيّن أبعاد الظلم الاستعماري، بهدف بناء وعيٍ جماعيٍّ يدرك جذور القهر ويهيّئ المجتمع للمقاومة المعرفية قبل كلّ مقاومة أخرى.[1]

منهج راسم الصحفي اتسم بالنقد المباشر وبالتركيب بين التقرير والتحليل والرأي، حيث صُممت المقالات لتكون دروساً في الحقوق والواجبات وإضاءات على علاقات السلطة بالمجتمع، فتجعل القارئ فاعلاً لا متلقياً سلبياً. بهذا الأسلوب جعل راسم الصحافة مدرسةً تعليميةً عمليةً

[1]أمينة قلاعي، عمر راسم وقضايا عصره من خلال كتاباته الصحفية 1884 1959م، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، 2014، صص 26 28 .

تستهدف تحريك مدارك الجمهور، وإكسابه أدوات فهمية لتمييز مقاصد السياسات الفرنسية وكيفية مواجهتها ثقافياً وسياسياً .[1]

الاستراتيجية التحريرية هذه أسفرت عن تشكيل وعي نقدي متدرج لدى القراء؛ إذ لم تكتفِ كتابة راسم بسرد الوقائع، بل حفّزت على فهم تراكم السياسات الاستعمارية وربطها بالتحولات الاجتماعية، ما أتاح للقراء القدرة على تقييم الأحداث ومناقشة الخيارات الوطنية، وبالتالي تحويل الصحافة إلى منصة إصلاحٍ عامٍّ تؤسس لإجراءاتٍ واعيةٍ ومنظمةٍ ضد الاستعمار.[2]

خُتِمَت مقالاته غالباً بالدعوة إلى تربيةٍ فكريةٍ وسياسيةٍ تُدرّس المواطنين كيفية اتخاذ المواقف المسؤولة، فكل افتتاحية كانت بحسبه درسًا في الوعي الجماعي: بين السلطة والمجتمع، وبين الفرد والجماعة، وبذلك رسّخ لدى الجمهور ثقافةً نقديةً وسياسيةً ضروريةً للنهوض الوطني.

3.1.1.2 رفع مستوى الثقافة العامة لبناء مجتمع واع:

توافقت رؤية عمر بن قدور مع طرح وجوب رفع مستوى الثقافة العامة بوصفها شرطًا أساسيًا لنهضة الأمة؛ فقد آمن إيمانًا راسخًا بأن النهضة الحضارية لا تتحقق عبر التعليم النظري وحده، بل عبر تكامل التعليم مع التربية الأخلاقية والاجتماعية التي تشكل قاعدة وعي الفرد ودوره في المجتمع .[3]

واستعمل بن قدور الأدب الرفيع والشعر والبلاغة الصحفية كأدوات إصلاحية استراتيجية لتوسيع مدارك الجمهور الجزائري، معتبراً أن هذه الوسائل تتيح نقل المعلومة بصيغة تربوية جذّابة وتكسب القارئ حسًّا نقديًا ضد محاولات التشويه والتجهيل المتعمد التي رافقت المدارس

---

[1] مياسي إبراهيم، «عمر راسم والصحافة»، مؤتمر عمر راسم الفنان والخطاط والمصلح الثائر، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2009، د ص.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009، ص ص 256 260.

[3] محمد بن عابد الفاسي (الهلالي)، تقويم الأخلاق، مطبعة تونس، 1928م، ص 42.

الكولونيالية. ومن ثم لم يكن هدفه مجرد توصيل المعرفة، بل إعادة تشكيل العقل الجمعي وتحفيز المشاركة الفاعلة في المشروع الوطني للنهضة الاجتماعية والثقافية .[1]

أفضى توظيف الأدب والصحافة إلى ربط تفاعلي بين المثقف والجمهور، إذ مكّن القارئ من تمييز الحقائق التاريخية والقيم الأصيلة عن الدعايات الاستعمارية، وبالتالي عزّز قدرة المجتمع على المقاومة الفكرية والثقافية مع الحفاظ على هويته العربية الإسلامية.

3.2 الفرع الثاني: التكامل بين الدين والوطنية:

3.2.1 التمسك بالقيم الإسلامية كقاعدة للإصلاح

انطلق كل من عمر راسم وعمر بن قدور من مرجعيات إصلاحية ذات نزعة سلفية في فهمها للضرورة الإصلاحية، إذ دعت مبادئهما إلى إعادة الدين إلى منابعه الصافية وطهْر الخطاب الديني من الدجل والشعوذة التي انتشرت لدى بعض الطرق الصوفية المنحرفة. ورأى المصلحان أن بعض ممارسات هذه الطرق أدت إلى تدجين فئاتٍ من المجتمع وربطها جزئياً بمؤسسات الاحتلال، ما ساعد على تمرير منطق الاستسلام والتواكل [2]

وبالتالي كان الهدف إعادة إحياء خطاب إسلامي أصيل يربط بين الالتزام الديني وبناء مجتمعٍ قادرٍ على مواجهة الهيمنة الاستعمارية. فالإصلاح الديني عندهما ليس شكلاً شعائريًا فحسب، بل وسيلة لإعادة تشكيل الوعي الاجتماعي والسياسي وبناء ثقافة مقاومة نقدية لدى المواطنين [3].

كما عملا على ربط الدين بالوطنية؛ فتعزيز الانتماء الوطني، في نظرهما، يتطلب إعادة الفرد إلى قيمه الأخلاقية والدينية ليظهر بمسؤولية وطنية تُمكّنه من مواجهة سياسات الاستعمار

---

[1] محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ص 84-87.

[2] محمد ناصر، المرجع نفسه، صص 84-87.

[3] مياسي إبراهيم، «عمر راسم والصحافة»، المرجع السابق، ص ص 14-16.

الفكري والثقافي. وهكذا تحول الدين عندهما إلى إطار أخلاقي وسياسي متكامل يخدم أهداف النهضة، مميّزًا خطابهما الإصلاحي عن الخطابين التقليدي والمتطرف في آن واحد .[1]

3.2.2 تعزيز الانتماء الوطني والتمسك بالهوية:

تَكَرّست في منشورات كل من عمر راسم وعمر بن قدور فكرة "الإيمان بالوطن" بوصفها امتداداً طبيعياً للإصلاح الديني والثقافي، فلم تكن الصحافة عندهما وسيلة نقل معلومات فقط، بل أداة لبناء وعيٍ وطنيّ متماسك قادر على مجابهة سياسات الاستلاب الثقافي والاستعماري. وقد عبّر راسم عن هذا التوجّه عملياً حين أصرّ على تسمية مجلته بالعربية «الجزائر» وكتابتها صوتياً باللفظ (Al Djazair) بدل الشكل الفرنسي المفروض (Algérie)، إذ لم يكن اختيار التسمية اعتباطياً بل خطوة رمزية واستراتيجية لإحياء المصطلح الجغرافي والسياسي الأصيل وتصحيح التصورات المغلوطة لدى القرّاء، وبناء أساس فكري وهوياتي متين .[2]

وتجلى التقاء الدين والوطنية في نبرات الصحف والمجلات التي أصدرها الاثنان؛ فقد جاءت مقالاتهما مسكونة بلغة دينية وأخلاقية تشدّ من أواصر الانتماء والهوية بين الجمهور، وتعمل بوعي على تحرير المجتمع من تبعيته الفكرية والثقافية لصالح تصوّر وطني مستقل. بهذا اتخذ الخطاب الصحفي طابعاً تعليمياً وسياسياً في آن واحد، يربط القيم الدينية بمقتضيات المواطنة والمسؤولية العامة، ويضمن أن يكون الإصلاح داخلياً ذا جذور أخلاقية وثقافية متينة (3)

---

[1] محمد بن عابد الفاسي (الهلالي)، المصدر السابق، صص 42-44.

[2] سماعيل حامت، المسلمون الفرنسيون في شمال إفريقيا (Les Musulmans français du Nord de l'Afrique)، تقديم: أ. لو شاتولييه، باريس: أرمان كولان، 1906م، ص. 114.

[3] مجلة العالم الإسلامي (**Revue du Monde Musulman**)، باريس، المجلد السادس، 1908م، ص. 201. (استشهد بها لإثبات النبرة الدينية والوطنية التي صبغت جريدة «الجزائر» كحامٍ للهوية الحضارية).

4.2 إصلاح المجتمع ونشر الوعي:

4.2.1التعليم المستقل كأداة رئيسية للنهضة:

دعا عمر راسم إلى مقاطعة المدارس الفرنسية ورفْض إدماج الأجيال في منظومة تعليم تهدف إلى التفكيك الثقافي، وناشد بإنشاء معاهد تعليمية عربية حرة تعتمد على موارد الأهالي وتبرعات النخبة. استندت هذه الدعوة إلى مبدأ التكافل الاجتماعي ومشاركة الموارد المحلية في بناء مؤسسات تعليمية وطنية، وذلك لدرء أثر البرامج التربوية الاستعمارية التي حرصت على طمس الحرف العربي وترويج الفرنسة كوسيلة للاندماج الثقافي[1].

مؤسسات التعليم العربية المستقلة هذه لم تقتصر وظيفتها على التدريس، بل صارت منابر وفضاءات لتشكيل وعيٍ سياسي–ثقافي؛ إذ أعدّت أجيالاً مزودة بالمعرفة وبحسٍّ نقديّ يهيئها لمواجهة الهيمنة الاستعمارية فكرياً وتنظيمياً، وبذلك تحولت المدرسة إلى بؤرة إصلاح اجتماعي واستنهاض وطني.

4.2.2 تنمية التفكير النقدي والمواطنة الجادة للشباب:

سعى الخطاب الإصلاحي المشترك بين عمر راسم وعمر بن قدور إلى كسر حلقة التبعية والجمود لدى فئة الشباب، وبناء جيلٍ جديدٍ يملك قدرة تحليلية ونقدية تمكنه من إدراك واقع التراجع والمطالبة بحقوقه المشروعة، مع التزامٍ بمبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية. اعتمد المصلحان على الصحافة والأدب كوسيلتين مركزيتين لصقل التفكير النقدي لدى الناشئة، فبدت المقالة الصحفية والقصيدة والأدب القصير دروسًا عملية في تفسير السياسة والاقتصاد

[1] أحمد توفيق المدني، أطروحة الدكتوراه ، حياة كفاح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزء الأول، ص 132. (يوضح ريادة راسم في جعل التعليم والصحافة معا منبرا للمطالبة بالعدالة والمساواة الإنسانية).

والثقافة، مما أتاح للشباب ممارسة مواطنة فاعلة والمطالبة بحقوقهم القانونية والسياسية والاجتماعية بدلالة واعية ومستنيرة .[1]

3.2 المطلب الثاني: الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية:

3.2.1الفرع الأول: اللغة العربية

3.2.1.1 العمود الفقري للهوية الثقافية والحضارية

دافع عمر راسم دفاعًا حازمًا عن مكانة الحرف العربي، مفنّدًا الدعايات والشبهات التي روّج لها مستشرقون وأطر استثمارية استعمارية والتي تزعم عجز العربية عن مواكبة الحداثة والعلوم. وبارك راسم استعادة الذاكرة العلمية للمراكز الجزائرية القديمة من قبيل بجاية التي وصفها بـ«الأكاديمية الإسلامية التي سار لركبان علمائها الركبان»، وتلمسان ومازونة ليؤكّد أن العربية ليست مجرد أداة تواصل بل هي العمود الفقري للهوية الثقافية والحضارية للأمة، وركيزة لا غنى عنها في عملية الإصلاح والتجديد .[2]

3.2.1.2 جهود بن قدور في حماية اللسان العربي:

ترجم مشروع عمر بن قدور الإصلاحي حماية اللغة العربية إلى ممارسات تربوية وإدارية ملموسة، فشارك مباشرة في إدارة مدرسة «الشبيبة الإسلامية» الحرة وأسّس مدرسة قرآنية بنظام عصري، هدفتا إلى تعليم الناشئة أصول لغتهم ودينهم. انصبّ توجّه ابن قدور على المزاوجة بين المحافظة على المضمون الديني واللغوي من جهة، وتبنّي أساليب تنظيمية وتربوية معاصرة من جهة أخرى، وذلك لتكوين جيل قادر على مقاومة سياسات الفرنسة والإذابة الثقافية. بهذه

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج5، ص 240. (يتناول بالتفصيل معارك النخبة المعربة لبناء منظومات تعليمية جزائرية مستقلة ماليا وإداريا).

[2] عمر راسم، مخطوط تراجم علماء الجزائر (مخطوط محفوظ بدار الآثار بالجزائر العاصمة)، ص 14. (وثيقة تاريخية يترجم فيها راسم لشيوخه ورواد النهضة كعبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية، معلنا اعتزازه بالانتماء العربي الإسلامي).

الخطوات جعل اللغة العربية ركيزةً في استراتيجيته الشاملة للإصلاح، ربطاً بين التعليم والهوية الوطنية–الدينية لضمان صمود المجتمع أمام محاولات التفكيك الثقافي.[1]

3.2.2الفرع الثاني: القيم الدينية والأخلاقية:

3.2.2.1 نشر القيم الحركية ونبذ الخمول والتواكل:

أعاد عمر راسم تأويل المنظومة الدينية والاجتماعية في الجزائر على نحو حركي وعملي، رافضاً الرؤى التي تحصر الدين في طقوس شكلية دون أثر عملي في الحياة. ورمز لدى راسم هذا التوجّه العبارة الشهيرة التي صاغها مجازاً: «الأحذية أولا ثم الصلوات بعد ذلك»، تعبيراً عن اعتقاده بأن الاجتهاد المادي والسعي في ميادين العمل والحرفة ينبغي أن يسبق العبادة الشكلية الراكدة؛ لأن الدين عنده يتحقق بقيم العمل والجدّ قبل الطقوس المجردة..[2]

استهدفت هذه الدعوة إيقاظ الضمير الاجتماعي وجعل الدين أداة إصلاحية تربط بين الأخلاق والعمل والوعي السياسي، وذلك لكسر حالة السبات التي استغلتها بعض الزوايا والمحافظون لتثبيت حالة الخمول والتواكل في المجتمع .[3]

3.2.2.2 التحذير من الانحلال والفرنسة الزائفة

وجه كل من راسم وبن قدور نقداً لاذعاً إلى الفئات الاندماجية المتفقّة مع الاستعمار والتي قلدت الغرب سطحياً باسم «التمدّن». صوّر راسم هؤلاء بكلمات قوية، فشبّههم بـ«الحشرات التي ملأت الأرض فانسابوا كأفاعي سجستان»، مشيراً إلى أنهم يعملون على تخريب المجتمع

---

[1] جريدة التقدم التونسية، العدد 12، أكتوبر 1907م، مقال لعمر راسم بعنوان "رأي حر". (مقالة تأسيسية هاجم فيها سياسة التفرنج والتخلي عن اللسان العربي).

[2] عمر راسم، كتاب تفسير القرآن الكريم ،مطبعة الحق، وهران، 1912م، ص132. (يشرح فلسفة راسم التراثية في معالجة الركود الاجتماعي والعقم الثقافي في المجتمع الجزائري).

[3] سجلات المحاكم الردعية وقوانين الحالة المدنية الاستعمارية، أرشيف ما وراء البحار (ANOM)، إكس آن بروفانس، فرنسا، ملف الجزائر، 1882م، ص240، نقلًا عن: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المرجع السابق، ص. 132.

وخيانة الأمة باسم المدنية، وينشرون انحلالاً أخلاقياً يهدّد تماسك الهوية الوطنية والدينية. استخدم راسم أمثلة تاريخية واجتماعية لتوضيح كيف يقود تقليد الأعراف الأجنبية بلا نقد إلى تآكل القيم، داعياً إلى مقاومة هذا الانحراف عبر التربية والنهضة الثقافية والتعليم المستقل. بهذا الدمج بين النقد الأخلاقي والتحريض التربوي والسياسي، قدّم الخطاب الإصلاحي إطاراً شمولياً لمعالجة الانحلال والوقوف في وجه سياسات الفرنسة الثقافية[1]

3.3المطلب الثالث: توظيف الصحافة لنشر الوعي:

يُركّز هذا المطلب على كيفية استثمار كل من عمر راسم وعمر بن قدور للصحافة كوسيلة مركزية في مشروعيهما الإصلاحيين: للحفاظ على الهوية العربية–الإسلامية، وحماية اللغة العربية، وتعزيز القيم الدينية والأخلاقية، ونشر ثقافة العمل والاجتهاد ورفض الخمول والانحلال الأخلاقي. تُظهر الفروع التالية أدواتهما التحريرية والأساليب التي استعملتاها في بناء وعيٍ سياسي ثقافيٍ جماعيٍ قادر على مواجهة سياسات الاستعمار.

3.3.1الفرع الأول: أدوات الإصلاح عبر الصحافة:

3.3.1.1التأسيس المشترك للصحف المستقلة

مثّل تأسيس جريدة «الفاروق» الأسبوعية (18 فبراير 1913م) من طرف عمر بن قدور، بمشاركة فعّالة لعمر راسم، محطةً مفصلية في مسيرة الصحافة الوطنية الجزائرية. وفي نفس السنة أصدر راسم جريدته «ذو الفقار»، التي اتّسمت بخصوصية فنية وتقنية فريدة، إذ كان راسم يحضّر نصوصها ويخطّها ويرسمها ويطبعها يدويًا ويوزعها بنفسه. لم يقتصر الهدف من هذه الإصدارات على نقل الأخبار؛ بل كانت منصات إصلاحية تهدف إلى رفع الوعي

[1] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،المرجع السابق، ص132.

العام، وتثقيف الجمهور سياسياً واجتماعياً، وتمكين المجتمع من فهم آليات الهيمنة ومقاومتها ثقافياً.[1]

3.3.1.2 المزاوجة بين الكلمة والرسوم التوضيحية:

تميّزت صحافة راسم بائدةً في توظيف العناصر البصرية إلى جانب النص، فخصص رسومًا كاريكاتورية وتعبيرية على الصفحات الأولى لتبسيط القضايا السياسية والأخلاقية أمام جمهور واسع ذي مستويات قراءة متفاوتة. كانت هذه الرسوم المشبعة بالرمزية النقدية وسيلة فعّالة للوصول إلى القيئات الشعبية والأميين، إذ اختزلت خطابات معقدة في صور سهلة الفهم وتسرّع في إحداث أثرٍ وجدانيٍ وفكري لدى القارئ .[2]

3.3.2الفرع الثاني: التوعية السياسية والاجتماعية:

3.3.2.1 نقد المخططات الاستعمارية والصهيونية المبكرة

أبدى راسم وبن قدور وعياً استراتيجياً فاق متابعة الوقائع المحلية؛ فقد تحرّيا المخططات الإقليمية والدولية التي قد تُضعف الأواصر القومية والدينية في المنطقة، ومن ذلك تحذيرهما من التطورات الصهيونية في فلسطين وما قد يترتب عنها من آثار سياسية وديموغرافية. كما انتقدا بشدة تبعات «قانون كريميو» (1870م) الذي منح اليهود الجنسية الفرنسية، مسلطين الضوء على مخاطره في تحريك ديناميات اجتماعية وقانونية قد تُستغل لصالح المصالح الاستعمارية على حساب السكان الأصليين بهذا الدور التحليلي لم تقتصر الصحافة على

---

[1] الأعداد الأصلية لجريدة ذو الفقار، مجموعة محفوظة بأرشيف المكتبة الوطنية الفرنسية (BNF)، باريس، تحت رقم تسجيل أربعة أعداد نادرة، آخرها بتاريخ 28 جوان 1914م، صص1–3، نقلًا عن: توفيق مزاري عبد الصمد، الوعي السياسي والاجتماعي في صحافة عمر راسم.

[2] أعداد جريدة الحق الوهرانية، أكتوبر 1911م – أوت 1912م، حيث أشرف راسم على القسم العربي المكتوب يدويا بالخط المغربي البديع، ص.12–15.

تبليغ الأخبار بل أصبحت وسيلة تحذير واستراتيجية توعية لإنقاذ التماسك الاجتماعي والوطني.[1]

3.3.2.2 الحث على المشاركة المدنية الفاعلة:

لم يكتفِ خطاب راسم وبن قدور بالنقد والاستشراف؛ بل سعى إلى تمكين المواطنين ممارسياً. دعا القلمان إلى مقاومة القوانين الاستثنائية والإحاطة بفهم قانوني–سياسي لحقوق المواطنين، فضلاً عن تشجيع الشباب على اكتساب أدوات التحليل السياسي والحقوقي. استُخدمت الخبرة التحريرية لتعليم الجمهور كيفية قراءة النصوص الرسمية، كشف مقاصدها، والمطالبة بحقوقهم بوعي ومسؤولية، معتبرين أن المشاركة المدنية الفاعلة سلاح مركزي في مقاومة الاستبعاد والتهميش الذي فرضته الآليات الاستعمارية .[2]

من خلال هذه الأدوات تأسيس منابر مستقلة، الجمع بين النص والصورة، كشف المخططات الاستراتيجية، وتحفيز المشاركة المدنية حولت صحيفة «الفاروق» و«ذو الفقار» وسواهما من منابر إلى مدارس عامة لإنتاج وعيٍ نقديٍّ ومواطنةٍ فعّالة. بهذه الطريقة أصبحت كل مقالة وكل رسمٍ وسيلة إصلاحية عملية تسهم في بناء جيلٍ قادر على فهم المخاطر والاستجابة لها بعقلٍ واعٍ وتنظيمٍ مدني.

3.2المبحث الثاني: مظاهر الاختلاف وخصوصية الطرح الإصلاحي:

يركز هذا المبحث على إبراز الخصوصيات في أسلوب وعرض كل من عمر راسم وعمر بن قدور، من حيث الأسلوب الصحفي ومحتوى المقالات، مع توضيح كيف أدى اختلاف النهجين إلى إثراء الحركة الإصلاحية.

---

[1] جريدة المرشد التونسية، مقالات مشتركة لعمر راسم وعمر بن قدور، 1911–1912م، صص 1–4.

[2] د. يحيى بوعزيز، الحركة الوطنية في شمال الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 165.

3.2.1المطلب الأول: اختلاف الأسلوب الصحفي:

3.2.1الفرع الأول: أسلوب عمر راسم.

1.1 الحدة والتعبير الهجومي المباشر

اتّسم أسلوب عمر راسم بالحدة والصراحة، فكان يكتب بلغة مباشرة خالية من الزخرفة اللفظية، ما جعل نصوصه صادمة أحياناً للنخبة التقليدية والجمهور. نشأت هذه الحدة من مرارة شخصية وتجربة حياتية انعكست في نظرته السوداوية إلى واقع اجتماعي يمزقه الجهل والفقر والاستغلال الاستعماري، فكان يوقّع مقالاته بألقاب وصفية مثل «البائس اليائس الثائر على العصر وأهله» لإظهار موقفه النقدي ودفع القراء إلى وعي نقدي ومشاركة إصلاحية فاعلة.

1.2 الصحافة الشعبية التكافلية العصامية:

اختار راسم أن يجعل صحافته شعبية وتكافلية، فحدّد أسعاراً رمزية للاشتراكات لتكون في متناول الفقراء والعمال، مثل مجلة «الجزائر» التي بيعت بعشرة سنتيمات للنسخة، بهدف تشجيع المطالعة والتعليم والتآزر الاجتماعي.[1]

كما استخدم الرموز والرسوم التوضيحية لتقريب القضايا السياسية والاجتماعية إلى الجمهور الأمي، ما ساهم في بناء وعي جماعي نقدي تدريجي .[2]

3.2.2الفرع الثاني: أسلوب عمر بن قدور:

2.1 البيان البلاغي والنثر الرصين:

اتّسم أسلوب عمر بن قدور بالبلاغة الكلاسيكية والنثر الرصين، فجاءت مقالاته مكتوبة بعناية تجمع بين جمال اللغة ووضوح المنهج الإصلاحي. اعتمد بن قدور على التوازن في الطرح،

---

[1] جريدة ذو الفقار، العدد الأول، 1913م، افتتاحية ومقالات بقلم ابن المنصور الصنهاجي (اسم راسم المستعار)، ص ص1–4.

[2] أعداد مجلة الجزائر، 1913م، أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، ص ص12–15.

متجنّباً الإفراط في الهجاء، فاختَرَ أسلوب التحليل المنطقي لشرح الظواهر الاجتماعية والسياسية، مستلهماً خطاب النهضة العربية في المشرق ومقتبِساً من أمثال محمد عبده وجمال الدين الأفغاني؛ كما جعل من كل مقال درساً أخلاقياً وسياسياً يهدف إلى تنشئة قارئ واعٍ قادر على ممارسة المواطنة الفكرية. هذا الأسلوب مكّنه من كسب ثقة طبقات واسعة من القراء من المتعلمين والمحافظين نظراً لأسلوبه الهادئ المدعوم بالأدلة.[1]

2.2 توظيف المنظومات الشعرية التوجيهية:

لجأ عمر بن قدور إلى الشعر كأداة إصلاحية وتوجيهية، فكان يوظف الأبيات لتلقين القيم الوطنية والدينية بلاغةً مؤثرة تترك أثراً نفسياً وفكرياً لدى القارئ. ويعكس شعاره الشعري في الجرائد:

"قلمي لسان ثلاثة بفؤادي *** ديني ووجداني وحب بلادي"

التكامل بين البعد الديني والمشاعر الوطنية والوجدان الشخصي في كتاباته، إذ لا ينفصل الفكر عن الانتماء ولا عن الحس الأخلاقي. أسهم هذا الأسلوب في: تحفيز الانتماء الوطني عبر ربط الفرد بماضي الأمة وحضارتها، نشر القيم الأخلاقية (كالصدق والاجتهاد والعدالة) بأسلوب غير مباشر مؤثر، وإرساء قاعدة تعليمية غير رسمية حيث أصبح الشعر والبلاغة وسيلة لتعليم التفكير النقدي وتحليل القضايا الاجتماعية والسياسية بعيدا عن العنف اللغوي أو الهجوم الشخصي.[2]

2.3 المقارنة مع أسلوب عمر راسم:

[1] الشيخ الطنطاوي الجوهري، مقال "نهضة الأمة وحياتها"، منشور بالعدد الثاني من مجلة الجزائر، نوفمبر 1908م، ص ص1-3.

[2] محمد ناصر، الصحافة الجزائرية في مطلع القرن العشرين، شركة الشهاب، الجزائر، 1982م، ص142.

بينما اعتمد عمر راسم أسلوب الحدة والهجاء المباشر إضافة إلى صحافة شعبية مكتنزة بالرسوم والرموز، مال بن قدور إلى الهدوء البلاغي والنثر الرصين، بحيث يثير راسم الانتباه بسرعة ويولد ردود فعل فورية، فيما يبني بن قدور وعياً تدريجياً مستنداً إلى التحليل والحجة. هذا التفاوت الأسلوبي أتاح تغطية طيف اجتماعي أوسع: استقطب راسم الطبقات الشعبية والعمال والفقراء، في حين جذب بن قدور النخبة المثقفة والمتعلمة. وبنتيجة هذا التكامل أصبح الخطاب الصحفي الإصلاحي في الجزائر أكثر شمولية وتعددية المستويات، إذ جمع بين الاستثارة الجماهيرية والتثقيف المؤسسي.

3.2.2المطلب الثاني: اختلاف القضايا المطروحة:

يتناول هذا المطلب الاختلافات الموضوعية بين ما طرحه عمر راسم وعمر بن قدور من قضايا إصلاحية وسبل التعامل معها. ركّز راسم على الحركية والتحريض التوعوي، وجعل من التعليم وسيلة مباشرة لمقاومة الظلم الاستعماري، ونفّذ نقداً لاذعاً للطبقات البرجوازية والاحتكارية عبر مقالاته. أما بن قدور فمال إلى الإصلاح المؤسسي المنظم، فعمل على تأسيس جمعيات تعليمية ومدارس قرآنية وعصرية واهتم بالمسار التربوي البنائي، متأثراً بالفكر الإصلاحي المشرقي وتجربة محمد عبده، فوظّف الخطاب المسجدي والنثر البلاغي لتهذيب السلوك العام وتعزيز الانتماء الوطني. من ثمّ أدى اختلاف المنهج بين الهجوم النقدي والتربية الفكرية المنظّمة إلى إثراء الحركة الإصلاحية الجزائرية بتراكم الاستجابات المطلبية والأسلوبية عبر فاعليات متعددة.

3.2.1الفرع الأول: مقالات عمر راسم:

2.1.1 الحركية والتحريض التوعوي للتعليم:

اعتبر عمر راسم التعليم سلاحًا عمليًا للتغيير الاجتماعي والسياسي لا ترفًا فكريًا، فغدا محورًا

لخطابه الصحفي كوسيلة لإيقاظ الوعي الجماعي وتحفيز الشباب على المطالبة بالحقوق. وجاءت عبارته الحادة:

"يجب أن نتعلم لكي نعرف أننا مظلومون، لكي ترفع أصواتنا في وجه الظلم، كي نموت أعزاء شرفاء ولا نعيش أذلاء جبناء"

لتلخّص فلسفته بأن المعرفة تمنح الفرد قدرة المطالبة والمقاومة، وتحوّل الوعي إلى فعلٍ اجتماعي وعملي ينهض بالمجتمع ضد الظلم والاستعمار. إذًا لم يَغْرِد راسم في فلك الخطاب التعليمي النظري فحسب، بل وضع التعليم في قلب مشروع تحرري يدعو إلى المشاركة العملية والمطالبة الحقوقية.

2.2.2 الصدام مع الأغنياء والمناداة بالاشتراكية الإسلامية

لم يقتصر خطاب راسم على قضايا التربية فقط؛ بل امتد إلى مناهضة التراكم الاحتكاري واللامساواة الاقتصادية، فهاجم في افتتاحياته فئة «الأغنياء المقصرين» الذين حولوا الفقراء إلى أدوات لخدمة مصالحهم، ودعا إلى نموذج اشتراكيٍ مستمدٍ من روح الإسلام يكرّس تكافؤ الفرص والإنصاف الاقتصادي. بهذا المزج ربط راسم بين الدعوة للتعلم ورفع الوعي الاجتماعي من جهة، والنقد الاقتصادي والسياسي من جهةٍ أخرى، فحوّل مقالاته إلى منصة إصلاحية شاملة تربط بين المعرفة والعدالة والهوية الوطنية، وتبيّن أن الإصلاح الحقيقي يشمل الحقوق الاجتماعية والاقتصادية إلى جانب التوعية الفكرية.[1]

3.2.2الفرع الثاني: مقالات عمر بن قدور

2.2.1الإصلاح المؤسساتي والمجتمعي المنظم

[1] جريدة ذو الفقار، العدد الأول، مقال "صيحة اجتماعية" بقلم عمر راسم، ص ص1–3. (المرجع الأساسي الذي صاغ فيه راسم مفهومه الفريد عن الاشتراكية الإسلامية ومحاربة الرأسمالية الاحتكارية).

ابتعد عمر بن قدور عن النبرة الاشتراكية المباشرة التي اتخذها راسم، فلم يركّز على الدعوة إلى صدام طبقي، بل تناول الظواهر الاجتماعية الهابطة نقدياً ودعوىً إلى توجيه الجهود نحو العمل المؤسساتي. انتقد بشدة أنشطة مثل تأسيس جمعيات تمثيل مسرحي هابطة لا تقدم نفعاً تربوياً أو ثقافياً، وحثّ الأهالي والنخب على توجيه مواردهم إلى إنشاء جمعيات إسلامية تعليمية منظمة وعصرية تنشر العلم وتبني وعيًا مؤسساتياً شاملاً. كان مقصده بناء بنية اجتماعية متينة تقوم على التعليم المنظم والتربية الأخلاقية والوعي الاجتماعي، بعيداً عن التشنّج والهجوم اللاذع، ومع الحفاظ على التراث والقيم الإسلامية لضمان استدامة الإصلاح وتنظيمه عمليًا.[1]

2.2.2التفتح على الفكر الإصلاحي المشرقي

تأثّر بن قدور بزيارة الإمام محمد عبده للجزائر وما بلورته مدرسة التجديد الإسلامي؛ فأثرى تجربته الفكرية بصبغة مشرقيّة اعتنقت مناهج الإصلاح والجامعة الإسلامية. وظّف الخطاب المسجدي المتزن الذي تدرّب عليه في مسجد سيدي رمضان كأداة تربوية لتهذيب السلوك العام وتقوية الروابط بين الجزائر ومحيطها المغاربي والإسلامي الأوسع. ساعد هذا التوجه على مزج القيم الدينية بالنهضة الوطنية، فصار التعليم والثقافة أدوات لإصلاح الفرد والمجتمع مع بناء وعي جماعي متوازن قادر على مقاومة التأثيرات الفكرية الاستعمارية.

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها في هذا الفصل يمكننا القول أن الدور الإصلاحي والفكري لكل من عمر راسم وعمر بن قدور في المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، أن هناك نقاط الالتقاء بينهما في أهدافهما الفكرية والإصلاحية، إذ ركز كلاهما على أهمية التعليم والتربية كأساس لبناء مجتمع واعٍ، والحفاظ على اللغة العربية

[1] د. مصطفى السباعي، اشتراكية الإسلام، دار العروبة، القاهرة، 1982، ص34. (يستخدم لمقاربة البعد الفكري والعدالة الاجتماعية التي نادى بها راسم).

كعمود فقري للهوية الثقافية والحضارية، وتعزيز القيم الدينية والأخلاقية لترسيخ الانتماء الوطني وصقل شخصية الأفراد، كما استخدم الأدب والصحافة لنشر الوعي الاجتماعي والسياسي وتحفيز المواطنين على المشاركة الفاعلة في الحياة العامة.

أما المبحث الثاني فقد تناول الاختلافات في أسلوب ومحتوى الخطاب الإصلاحي، حيث اعتمد راسم على الهجاء المباشر والرسوم التوضيحية والصحافة الشعبية لنشر أفكاره بشكل سريع وفعّال لدى جميع طبقات المجتمع، بينما ركز بن قدور على البلاغة والنثر الرصين والشعر التوجيهي لتثقيف النخبة والمجتمع عبر أسلوب متزن ومؤسساتي، كما أوضح المبحث كيفية تناول راسم للقضايا الاجتماعية والاقتصادية بحدة، في حين ركز بن قدور على الإصلاح المؤسساتي والمجتمعي والتأثر بالنهضة الفكرية في المشرق، مما سمح بتغطية شاملة لمختلف طبقات المجتمع وتعزيز الوعي الوطني والثقافي.

وبذلك يظهر أن الجمع بين أساليب راسم الهجومية وأساليب بن قدور البلاغية وبين مقالاتهما التربوية والثقافية أدى إلى تشكيل خطاب إصلاحي متكامل يجمع بين التعليم والصحافة والأدب والدين، ويعزز الهوية العربية الإسلامية ويقوي الوعي الاجتماعي والسياسي، مما يجعل كلا المصلحين من أبرز رواد النهضة الإصلاحية في الجزائر خلال فترة الاستعمار.

الخاتمة

خاتمة

في ختام هذه الدراسة الموسومة بـ«رواد الصحافة الجزائرية ودورهم الإصلاحي والتوعوي خلال مطلع القرن العشرين»، يتضح أن الصحافة الجزائرية لم تكن مجرد وسيلة لنقل الأخبار أو التعبير عن الآراء، بل شكّلت منبرًا فكريًا وإصلاحيًا أسهم بصورة فعّالة في بناء الوعي الوطني والمحافظة على مقومات الهوية الجزائرية في ظل الظروف الاستعمارية التي عرفتها البلاد آنذاك. وقد أظهرت هذه الدراسة من خلال تتبع المسار الفكري والإصلاحي لكل من عمر راسم وعمر بن قدور مدى ارتباط العمل الصحفي بالحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر خلال مطلع القرن العشرين.

فقد بينت الدراسة أن نشأة عمر راسم وتكوينه العلمي والثقافي أسهما في بلورة شخصيته الفكرية والإصلاحية، حيث آمن بأهمية التعليم والتعلم في تحقيق نهضة المجتمع الجزائري، وجعل من الصحافة وسيلة لنشر الوعي الديني والاجتماعي والثقافي، والدفاع عن الهوية الوطنية ومقوماتها الحضارية. كما تبيّن أن دوره الصحفي لم يقتصر على الجانب الإعلامي فحسب، بل تجاوز ذلك إلى أداء وظيفة توجيهية وتوعوية كان لها أثر بارز في تشكيل الرأي العام الوطني.

كما خلصت الدراسة إلى أن عمر بن قدور نشأ بدوره في بيئة فكرية واجتماعية ساعدت على صقل توجهه الإصلاحي، الأمر الذي انعكس على نشاطه العلمي والوطني، حيث سخّر الصحافة لخدمة قضايا التعليم والإصلاح الاجتماعي والتربوي، وساهم من خلال كتاباته ومقالاته في نشر الوعي الوطني ومقاومة مظاهر التجهيل والاستلاب الثقافي التي فرضها الاستعمار الفرنسي على المجتمع الجزائري.

وقد أكدت النتائج المتوصل إليها أن كلا الشخصيتين تمثلان نموذجًا للصحفي المصلح الذي وظّف الكلمة المكتوبة لخدمة قضايا الوطن والمجتمع، وأسهم في دعم الحركة الإصلاحية

والوطنية الجزائرية، مما يجعل من الصحافة الجزائرية في تلك المرحلة أداة نضالية وفكرية ذات تأثير عميق في مسار الوعي الوطني.

كما تمهّد هذه النتائج للانتقال إلى الفصل الثالث من الدراسة، الذي سيُخصّص لإجراء دراسة مقارنة بين الشخصيتين، بهدف إبراز أوجه التشابه والاختلاف في الرؤية الإصلاحية والأدوار التوعوية، وتحليل طبيعة إســـهام كل منهما في خدمة المجتمع الجزائري وقضـــاياه الوطنية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1-الصحف

- جريدة**الأخبار**، العدد 13746، 21 ديسمبر 1913م .
- جريدة**الأخبار**، 30أكتوبر 1910م / 26 شوال 1328هـ .
- جريدة **الحقيقة التونسية**، 28أوت 1907م .
- جريدة **الحق الوهراني**، العدد 42، 27 أوت 1912م .
- جريدة **ذو الفقار**، العدد الأول، 1913م .
- جريدة **ذو الفقار**، عدد 20 رجب 1332هـ / 14 جوان 1914م .
- جريدة **الصديق**، العدد 2، 15 أوت 1920م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 1، 28 فيفري 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 3، 14 مارس 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 6، 6 نوفمبر 1920م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 7، 11 أفريل 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 8، 08 أفريل 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 19، 4 جويلية 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 20، 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 21، 11 جويلية 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 37، 21 نوفمبر 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 38، 28 نوفمبر 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 40، 12 ديسمبر 1913م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 44، 16 جانفي 1914م .

- جريدة **الفاروق**، العدد 46، 30 جانفي 1914م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 57، 20 أفريل 1914م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 64، 08 جوان 1914م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 66، 22 جوان 1914م .
- جريدة **الفاروق**، العدد 92، 25 ديسمبر 1914م .
- جريدة **المشير**، العدد 21، 28 ماي 1911م .
- جريدة **المشير**، العدد 26، تونس، جوان 1911م .
- جريدة **المشير**، العدد 39، 06 أوت 1911م .
- جريدة**التقدم**، العدد 25، 06 فيفري 1908م .
- جريدة**التقدم**، العدد 29، 5 مارس 1908م .
- جريدة **وادي ميزاب**، العدد 39، 15 أوت 1927م .

المقالات الصحفية

- بن قدور، عمر، «إلى حضرات الأغنياء»، جريدة **الطلال**، العدد 05، 1 ديسمبر 1906م .
- بن قدور، عمر، «اعتبر المبر»، جريدة **الأخبار**، العدد 13646، 04 سبتمبر 1910م .
- بن قدور، عمر، «حقيقة الاتحاد الإسلامي»، جريدة **الأخبار**، العدد 13651، 09 أكتوبر 1910م .
- بن قدور، عمر، «بكس القول قول الأفاكين»، جريدة **المشير**، العدد 21، 28 ماي 1911م .
- بن قدور، عمر، «الصغير والأصداع»، جريدة **المشير**، العدد 39، 06 أوت 1911م .

- بن قدور، عمر، «راعوا الله في الأحاديق»، جريدة **الفاروق**، العدد 3، 14 مارس 1913م .
- بن قدور، عمر، «الموشح الجزائري»، جريدة **الفاروق**، العدد 7، 11 أفريل 1913م .
- بن قدور، عمر، «دان النهوض ولم يدن»، جريدة **الفاروق**، العدد 19، 4 جويلية 1913م .
- بن قدور، عمر، «مراحل الأمم ومراحلنا»، جريدة **الفاروق**، العدد 21، 21 سبتمبر 1913م .
- بن قدور، عمر، «المرأة»، جريدة **الفاروق**، العدد 38، 28 نوفمبر 1913م .
- بن قدور، عمر، «فضيلة الفضائل»، جريدة **الفاروق**، العدد 37، 21 نوفمبر 1913م .
- بن قدور، عمر، «نحو المستقبل»، جريدة **الفاروق**، العدد 40، 12 ديسمبر 1913م .
- بن قدور، عمر، «لما التخاذل على ما التنافر على هذا التفاكرة»، جريدة **الفاروق**، العدد 44، 16 جانفي 1914م .
- بن قدور، عمر، «لينهض من القوم الأحياء»، جريدة **الفاروق**، العدد 46، 30 جانفي 1914م .
- بن قدور، عمر، «ساعدوا على التعليم»، جريدة **الفاروق**، العدد 21، 11 جويلية 1913م .
- بن قدور، عمر، «حديث الحوادث»، جريدة **الفاروق**، العدد 92، 25 ديسمبر 1914م .
- بن قدور، عمر، «التعليم والاقتصاد»، جريدة **الصديق**، العدد 2، 15 أوت 1920م .
- بن قدور، عمر، «نحو النهوض»، جريدة **الفاروق**، العدد 4، 29 أكتوبر 1920م .

- بن قدور، عمر، «خطواتنا إلى المستقبل»، جريدة **الفاروق**، العدد 6، 6 نوفمبر 1920م .
- بن قدور، عمر، «الاسترشاد بالعلم والاستقال»، جريدة **وادي ميزاب**، العدد 39، 15 أوت 1927م .
- راسم، عمر، «انحطاط التعليم واللغة العربية»، جريدة **الحق الوهراني**، العدد 42، 27 أوت 1912م .
- راسم، عمر، «التعاون! التعاون!»، جريدة **ذو الفقار**، 1913م .

ثانيًا: المراجع

1-الكتب العربية

- أبو عمران الشيخ، معجم *مشاهير المغاربة*، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 1995م .
- أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009م .
- أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج8، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009م .
- بن ميمون الجزائري، محمد، *التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية*، تقديم: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1981م .
- خرفي، صالح، *عمر بن قدور الجزائري*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م .
- شترة، خير الدين، *الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م*، ج3، دار كردادة، الجزائر، ط2، 2013م .
- الصديق، محمد صالح، *صور فكرية وثقافية*، موقم للنشر، الجزائر، 2009م .

- عبده إبراهيم، *أعلام الصحافة العربية*، مكتبة الآداب، مصر، ط2، 1999م .
- عبد النور حيثر وآخرون، *منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م*، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007م .
- عادل نويهض، *معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر* .
- قرين، مولود، *عمر بن قدور الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1886-1932م*، دار الخليل العلمية، الجزائر، ج1 .
- محمد ناصر، *عمر راسم المصلح الثائر*، لافوميك، الجزائر، 1976م .
- محمد ناصر، *تاريخ الصحافة العربية الجزائرية*، مج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م .
- وزارة المجاهدين، *موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954م*، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م .
- زهير إحدادن، *الصحافة المكتوبة في الجزائر*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012م .

2-الكتب المترجمة

- أجرون، شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر، **ترجمة: همال فاطمي**، مج2، دار الأمة، الجزائر، 2008م .
- مراد، علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، **ترجمة: محمد يحياتن**، دار الحكمة، الجزائر، 2007م .

3-الرسائل الجامعية

- قلاعي، أمينة، *عمر راسم وقضايا عصره من خلال كتاباته الصحفية 1884-1959م*، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2014م .

4-المقالات والمجلات والملتقيات

- خليل، كمال، «الفكر الإصلاحي عند عمر بن قدور 1886-1932م»، مجلة البحوث التاريخية، مج1، ع2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2017م .
- زرهوني، الطاهر، «التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال»، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1986م .
- شترة، خير الدين، «النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-1956م»، ضمن :أعمال الملتقى الدولي حول عمر راسم، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، دار هومة، الجزائر، 2009م .
- كرليل، عبد القادر، «نشأة الصحافة الجزائرية»، مجلة المصادر، ع11، الجزائر، 2005م .
- مزاري عبد الصمد، توفيق، الوعي السياسي والاجتماعي في صحافة عمر راسم.
- مياسي، إبراهيم، «عمر راسم والصحافة»، *مؤتمر عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر*، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد، 15/14 فيفري 2009م .

- **المراجع الأجنبية**

- Julien, *Etudes Maghrébines*.
- *AL DJAZAIR - Revue Algérienne d'Education Sociale*, M. Omar Racim, Rue Mogador.

قائمة الملاحق

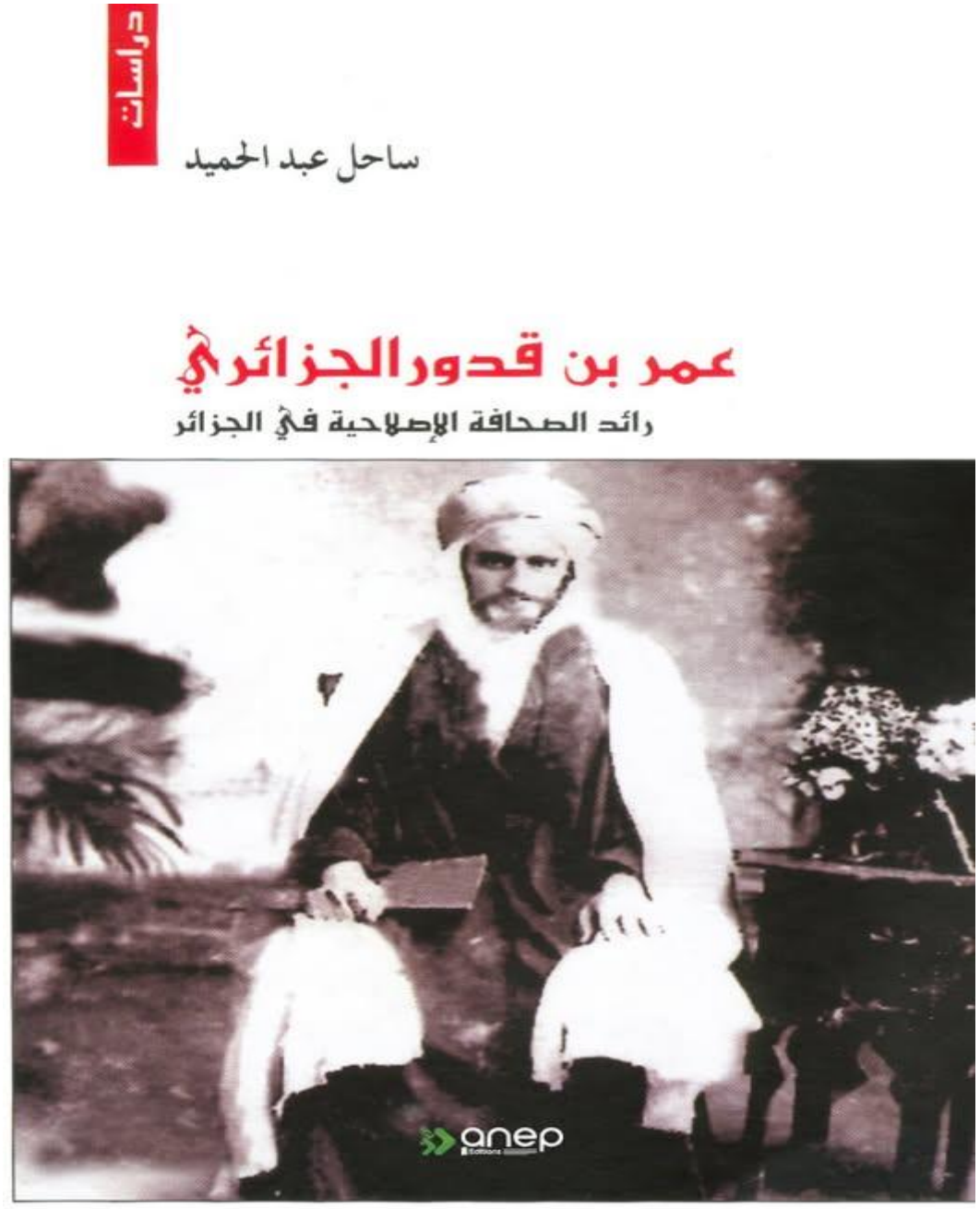
الملاحق

الملحقرقم :01 صورةعمرراسم



https://www.alfahras.me/2024/05/%D8%B9%D9%85%D8%B1-%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%85

الملحقرقم :02 صورةعمربنقدور



.

ذاكرة الجزائر، "28 فيفري 1913: مرور 112 سنة على تأسيس الصحفي الجزائري عمر بن قدور للجريدة الأسبوعية الفاروق"، منشور على صفحة فيسبوك، تاريخ الاطلاع: 25 ماي 2026.

الملحقرقم :03 نموذجمنجريدةذوالفقار



المصدر: محمد ناصر، *تاريخ الصحافة العربية الجزائرية*، مج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م .

الملحقرقم :04 نموذجمنجريدةالفاروق



السنة الخامسة — العدد «١٢٢٣»

الجامعة الإسلامية

جريدة يومية سياسية

يافا - الثلثاء

صاحب الجريدة ورئيس تحريرها

أسعد الفاروقي

مدير الادارة

محمد عزة دروزة

مفترق الطرق...

من ذكريات الثورة

أسئلة اليوم؟!

نبوغ والسلام!!

https://www.aljazeera.net/opinions/2023/8/11/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%88%D9%82%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%B5%D8%AD%D9%8A%D9%81%D8%A

الملحقرقم05 :صورةالمدرسةالثعالبية



من موقع
وكبيديا https://web.facebook.com/photo/?fbid=1240546898119326&set=pcb.1240547204785962